!

قسم اللاهوت

المجامع المسكونية

الجزء الأول
الطبعة الخامسة

تدريس

الأنبا

بيشوى

مطران دمياط

وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانه بالبرارى

ورئيس قسم اللاهوت بمعهد الدراسات القبطية

ملاحظة هامة

هذه النسخة المعتمدة بتوقيع الأنبا بيشوى هى المراجعة والمعتمدة ولا يعتد فى المقرر بأى نسخ أخرى قام الطلبة بإعدادها بمعرفتهم

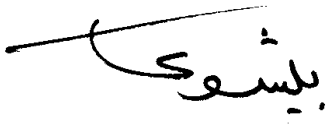

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
المجامع المسكونية	٤
أولاً: مجمع نيقية سنة ٣٢٥م	٨
عرض تاريخى لبعض الأحداث التى سبقت ظهور مقدونيوس وأتباعه	٢١
تأثير تعاليم أوريجانوس فيما يخص البدع الخاصة بالروح القدس	٢١
تعليم آباء القرون الأولى عن الروح القدس	٢٢
الروح القدس حتى مجمع القسطنطينية ٣٨١م	٢٤
ثانيًا: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م	٢٩
١) بدعة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية، والرد عليها	٢٩
٢) بدعة أبوليناريوس، والرد عليها	٣٤
٣) بدعة سابيليوس، والرد عليها	٤٧
ثالثًا: مجمع أفسس	٥٤
مقدمة تمهيدية إلى مجمع أفسس	٥٤
الصراعات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس	
وما تلاها من تطورات حتى العصر الحالى	٥٩
هرطقة أبوليناريوس	٥٩
ردود الفعل الأبوليناية	٦٣
ديودور الطرسوسى	٦٣
ثيئودور الموبسويستى	٦٤
نسطور	٦٧
كتابات نسطور المتأخرة	٧٠
بداية الصراع بين كيرلس ونسطور	٧١
مجمع روما (٤٣٠م)	٧٨
مجمع الإسكندرية عام (٤٣٠م)	٧٩
بداية وصراع ونصرة مجمع أفسس	٧٩

إعادة الوحدة عام ٤٣٣م ٨٢
تأزُّم الموقف ٨٢
تغير القادة ٨٥
هرطقة أوطيخا ٨٦
مجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨م ٨٦
مجمع أفسس الثانى ٨٨
مجمع خلقيدونية ٨٨
الفهرس ٩٣

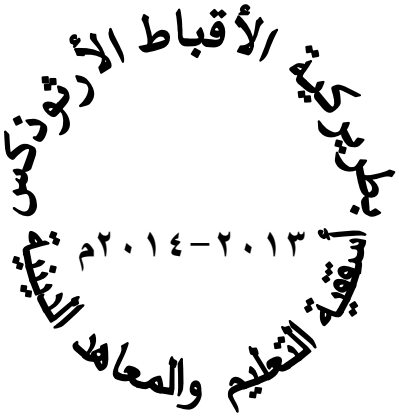

معهد الدراسات القبطية
قسم اللاهوت

المجامع المسكونية

الجزء الأول

الطبعة الخامسة

تدريس

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانه بالبرارى

ورئيس قسم اللاهوت بمعهد الدراسات القبطية

ملاحظة هامة

هذه النسخة المعتمدة بتوقيع الأنبا بيشوى هى المراجعة والمعتمدة

ولا يعتد فى المقرر بأى نسخ أخرى قام الطلبة بإعدادها بمعرفتهم

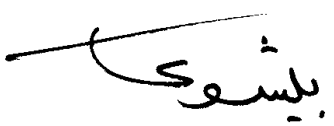

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
المجامع المسكونية	٤
أولاً: مجمع نيقية سنة ٣٢٥م	٨
عرض تاريخى لبعض الأحداث التى سبقت ظهور مقدونيوس وأتباعه	٢١
تأثير تعاليم أوريجانوس فيما يخص البدع الخاصة بالروح القدس	٢١
تعليم آباء القرون الأولى عن الروح القدس	٢٢
الروح القدس حتى مجمع القسطنطينية ٣٨١م	٢٤
ثانيًا: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م	٢٩
١) بدعة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية، والرد عليها	٢٩
٢) بدعة أبوليناريوس، والرد عليها	٣٤
٣) بدعة سابيليوس، والرد عليها	٤٧
ثالثًا: مجمع أفسس	٥٤
مقدمة تمهيدية إلى مجمع أفسس	٥٤
الصراعات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس	
وما تلاها من تطورات حتى العصر الحالى	٥٩
هرطقة أبوليناريوس	٥٩
ردود الفعل الأبوليناية	٦٣
ديودور الطرسوسى	٦٣
ثيئودور الموبسويستى	٦٤
نسطور	٦٧
كتابات نسطور المتأخرة	٧٠
بداية الصراع بين كيرلس ونسطور	٧١
مجمع روما (٤٣٠م)	٧٨
مجمع الإسكندرية عام (٤٣٠م)	٧٩
بداية وصراع ونصرة مجمع أفسس	٧٩

إعادة الوحدة عام ٤٣٣م ٨٢
تأزُّم الموقف ٨٢
تغير القادة ٨٥
هرطقة أوطيخا ٨٦
مجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨م ٨٦
مجمع أفسس الثانى ٨٨
مجمع خلقيدونية ٨٨
الفهرس ٩٣

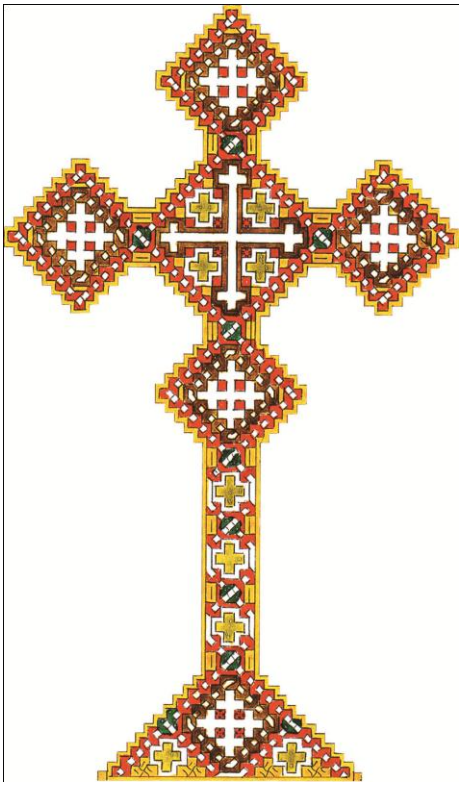

مقدمة

الجزء الأول من مادة المجامع والحوارات المسكونية؛ التى طلب **قداسة البابا شنودة الثالث** تدريسها فى قسم اللاهوت بمعهد الدراسات القبطية، يتناول المجامع المسكونية الثلاثة: نيقية ٣٢٥م والقسطنطينية ٣٨١م وأفسس ٤٣١م، وأيضًا الأحداث التى تلتها حتى مجمع أفسس الثانى ٤٤٩م ومجمع خلقيدونية ٤٥١م وما بينهما، ومحاولات الوحدة على مر العصور ما بعد خلقيدونية مع الإشارة إلى بعض الأحداث الجارية المرتبطة بالصراعات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس.

أما **الجزء الثانى:** فيتناول الحوارات اللاهوتية المسكونية التى جرت فى القرن العشرين والواحد وعشرين فى عهد **قداسة البابا شنودة الثالث وفى عهد قداسة البابا تواضروس الثانى**، والتى شاركت أو تشارك فيها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية. ويتضمن ذلك شرح الخلافات التى تجرى حولها هذه الحوارات. وما أمكن تحقيقه من خلالها حتى الآن. وكذلك ما يخص مشاركة كنيستنا فى المجالس المسكونية المعاصرة.

الفرق بين العمل المسكونى فى القرون الأولى للمسيحية والعمل المسكونى الحالى؛ هو أن المجمع المسكونى فى القرون الأولى كان يعبّر عن إيمان الكنيسة الجامعة الواحدة. أما العمل المسكونى فى العصر الحالى، فهو الحوارات اللاهوتية ومحاولات الوحدة بين الكنائس المختلفة إيمانيًا وعقائديًا، إلى جوار اجتماعات مسكونية للكنائس الشقيقة على مستوى العائلة الأرثوذكسية الشرقية فى العالم أو فى منطقة الشرق الأوسط.

نسأل الرب أن يحفظ لنا حياة **قداسة البابا تواضروس الثانى** بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية بشفاعة والدة الإله القديسة مريم العذراء وجميع مصاف القديسين. آمين.

٢٥ نوفمبر ٢٠١٣م
بدء صوم الميلاد المجيد

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانة بالبرارى
ورئيس قسم اللاهوت بمعهد
الدراسات القبطية

المجامع المسكونية

أولاً: مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م

تم انعقاده:

١- لمقاومة البدعة الأريوسية.

٢- وضع قانون الإيمان النيقاوى الذى انتهى بعبارة "نعم نؤمن بالروح القدس". واكتفى بهذه العبارة عن الروح القدس لأن التركيز فى هذا المجمع كان على الدفاع عن ألوهية المسيح.

ثانيًا: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م

١- لمقاومة بدعة مقدونيوس، وبدعة أبوليناريوس، وبدعة سابيليوس.

٢- استكمال قانون الإيمان إلى آخره الذى انتهى بعبارة "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين".

٣- وأصبح اسمه القانون النيقاوى-القسطنطينى.

ثالثًا: مجمع أفسس سنة ٤٣١م

١- لمقاومة البدعة النسطورية (نسطور بطريرك القسطنطينية). وتم حرم نسطور وتعليمه وعزله من منصبه الكهنوتى.

٢- وضع فيه مقدمة قانون الإيمان "نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله...".

ما بين قانون الإيمان النيقاوى والقسطنطينى

حدثت بعض تعديلات محدودة فى قانون الإيمان ما بين قانون نيقية وقانون القسطنطينية.

مثلاً: حذف عبارة [مولود من جوهر الآب] وكان المقصود بها أن الابن عندما وُلد من الآب، أخذ نفس الجوهر الذى للآب، والاكتفاء بعبارة [له نفس الجوهر مع الآب] التى تفى بالمعنى المقصود إلى جوار عبارة [المولود من الآب قبل كل الدهور].

من الممكن فهم عبارة أن الابن "مولود من جوهر الآب"، الأولى خطأ وهى أن الثالوث ولد الابن، بالرغم من أن العبارة تقول "مولود من جوهر الآب" وليس من الثالوث. فيتساءل البعض : هل الجوهر هو الذى يلد أم الأقنوم؟

أما الثانية فهى صواب وتعنى أنه عندما وُلد الابن من الآب أخذ الجوهر كله الذى للآب، أى أن الابن من نفس جوهر الآب. كما نقول عن أى ابن يشابه أباه أنه من نفس معدنه أى من نفس جوهره، ومن المفهوم أن الأب هو الذى يلد وليس المعدن. أما فى المفهوم الثالوثى فالولادة هى نور من نور، مثل ولادة الشعاع من النور، وولادة الفكر من العقل، فالآب هو الذى يلِد وليس الجوهر، وهذه الولادة هى ولادة روحية طبيعية.

الآب يلِد ابن يحمل كل جوهره، فالجوهر غير منقسم وغير متجزئ. وحينما وُلد الابن من الآب وُلد بكل جوهر الآب وليس بجزء من هذا الجوهر.

لذلك تم تعديل القانون بالاكتفاء بعبارة Homoousion tou Patri **له نفس الجوهر مع الآب** (هوموأوسيون تو باترى ὁμοούσιον τοῦ Πατρὶ). وهذه العبارة أحيانًا تترجم "مساوى للآب فى الجوهر" أو "واحد مع الآب فى الجوهر"، وهى فى الحقيقة تعنى لاهوتيًا "**مساوى للآب فى الجوهر الواحد**".

وقد قدَّم مجموعة من اللاهوتيين فى مجلس كنائس الشرق الأوسط اقتراحًا بتوحيد نص قانون الإيمان. وكان هؤلاء اللاهوتيين قد قاموا بدراسة الأمر لعدة سنوات ومنهم خبراء فى اللغة اليونانية وخبراء فى اللغة العربية وهم من ممثلى الأربعة طوائف المشتركون فى مجلس كنائس الشرق الأوسط، (وكنت عضوًا بهذه الاجتماعات). وبعد مباحثات كثيرة جدًا اتفق رأى اللاهوتيين على ترجمة موحّدة باللغة العربية لقانون الإيمان (النص اليونانى واحد). كانت هذه محاولة على مستوى منطقة الشرق الأوسط أى البلاد المتكلمة باللغة العربية للوصول إلى ترجمة موحدة، وقد تم التوصل فعلاً إلى ذلك وتم إرسال هذه الترجمة إلى الكنائس كاقتراح تتبناه الكنائس. وصار هذا النص يستخدم فى اجتماعات مجلس كنائس الشرق الأوسط.

لكن بعض الكنائس بالرغم من أنها ترى أن الترجمة جميلة وتستخدمها بالفعل فى لقاءات المجلس، إلا أنها ترى أن الشعب اعتاد على بعض الأمور وتربى عليها وحفظها فليس من السهل تغييرها، لذلك نحتاج إلى وقت لكى يتأقلم عامة الشعب على هذه الترجمة "له نفس الجوهر مع الآب" ونستطيع أن نقولها.

كما أن هذا الأمر يتطلب موافقة المجمع المقدس لأن قانون الإيمان ليس شيء عادى حتى أن كل من يستحسن ترجمة معينة له يطبقها. كما حدث فى بعض الأوقات أن البعض أوصوا باستخدام عبارة "واحد مع الآب فى الجوهر" وظل البعض الآخر يرددون "مساوى للآب فى الجوهر".

إن ما عمله مجلس كنائس الشرق الأوسط هو عمل أكاديمى يناسب كليات اللاهوت لذلك فإننا نشرح هذا الأمر فى دراستنا اللاهوتية، لكن على المستوى الشعبى الأمر يحتاج إلى تدرج.

إن عبارة "**له نفس الجوهر مع الآب**" تعنى "واحد" و"مساوى" فى نفس الوقت بل أن هذه هى الحقيقة. فمن الناحية اللغوية ὁμοπολις (هومو باتير) تعنى من هم من أب واحد ὁμοπατηρ (هومو بوليس) تعنى من هم من مدينة واحدة. فأى مجموعة من الناس ينتمون إلى شيء واحد تستخدم لهم كلمة ὁμο . أما بخصوص عبارة ὁμοούσιον (هومو أوسيون) فقد شرح القديس أثناسيوس فى وثيقة الإيمان (Expositio Fidei)[1]: إنه لم يرد أن يكتب μονο ούσιον (مونو أوسيون) التى تعنى "جوهر واحد" لئلا يفرح بها السابليون الذين يؤمنون بالأقنوم الواحد ويستخدمونها لصالحهم، لذلك استحسن عبارة ὁμοούσιον أى "الذى له نفس الجوهر مع الآب". فمع أن القديس أثناسيوس قال كثيرًا فى شروحاته ويؤمن أن الجوهر الإلهى واحد إلا أنه أوضح لماذا لم يستحسن استخدام عبارة مونو أوسيون فى نص قانون الإيمان.

السبب فى انعقاد مجمع مسكونى

بعض الهرطقات عاشت فى الكنيسة فترة ولكن الظروف لم تتهيأ لعقد مجمع مسكونى لإدانتها رسميًا. فالآباء من هنا وهناك كانوا يردّون على تلك الهرطقات ويدينونها، لكن لم يكن يعقد مجمع إلا إذا بدأت بدعة ما تؤدى إلى انقسام فى الكنيسة. فعلى سبيل المثال انعقد المجمع المسكونى الأول ليس لأن بدعة أريوس هى أول هرطقة ظهرت فى الكنيسة ولكن لأن الامبراطور قسطنطين، وقد بدأ يؤمن بالمسيحية (ولكنه لم يكن قد تم عماده بعد)، شعر أن أريوس بعد أن حُكم عليه وعلى تعليمه بالحرم بواسطة مجمع الإسكندرية عام ٣١٨م برئاسة البابا ألكسندروس (يرجِّح المؤرخ هيفيلى أن مجمع الإسكندرية انعقد عام ٣٢٠م)[2] ، قد يتسبب فى انقسام فى الامبراطورية، إذ أنه بعد حرمه ترك الإسكندرية وذهب إلى نيقوميدية (والبلاد الواقعة على الساحل الغربى من البحر المتوسط أى شمال شرق

[1] N & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Expositio Fidei, p. 84.
[2] C.J. Hefele, *A History of the Councils*, from the original documents, AMS Pres 1972, reprinted from the edition of Edinburgh T. & T. Clark, 1894, Vol. 1 p. 247

مصر) وهناك بدأ فى نشر أفكاره واستطاع أن يؤثر على أسقفين هما يوسابيوس النيقوميدى ويوسابيوس القيصرى.

كان الصراع الأريوسى محتدمًا فى الإسكندرية بين أريوس وأتباعه وبين البابا ألكسندروس ومن معه[٣]. أما بخروج تأثيره خارج نطاق الإسكندرية فقد كاد أن يتسبب فى انقسام الإمبراطورية الرومانية. وهذا ما أدى إلى عقد المجمع المسكونى الأول فى نيقية. لكن هذه لم تكن أول هرطقة تظهر فى الكنيسة.

هناك هرطقات كثيرة لم تعقد بسببها مجامع مسكونية، واكتفت الكنيسة بإدانتها أو أخذ موقف من مبتدعها، ربما فى مجمع مكانى أو بصورة أخرى، وقد تنوعت الصور على مر السنين.

كما أنه حدث فى بعض الأحيان أن حرمت الكنيسة البدعة بعد أن يكون صاحبها نفسه قد مات. فربما لم تكن البدعة فى أثناء حياته قد بلغت ذروتها، أما بعد أن روَّج لها تلاميذه بعد مماته أكثر مما كان الحال أثناء حياته، صارت تمثل خطورة اضطرت الكنيسة للتصدى لها. ولذلك أدين مقدونيوس فى مجمع القسطنطينية وعزل من كرسيه كبطريرك للقسطنطينية، كما أدينت بدعتين قديمتين سابقتين لزمان انعقاد المجمع وهما هرطقتى سابيليوس وأبوليناريوس. أى أن المجمع قد عُقد أساسًا من أجل هرطقة مقدونيوس لكن الآباء انتهزوا الفرصة لتطهير الأذهان من هرطقات أخرى لم تعقد بسببها مجامع. لذلك تم الحكم على سابيليوس وأبوليناريوس وهرطقتيهما.

[٣] هناك من يخضعون للكنيسة ورئاستها وهناك من تغويهم وتستهويهم الأفكار الغريبة لأنهم بطبيعتهم يحبون الغواية وهذا هو الحال من جيل إلى جيل.

أولاً: مجمع نيقية سنة ٣٢٥م

ظروف انعقاد المجمع

هدأت أمواج الاضطهادات التى لاقتها الكنيسة لمدة ثلاثة قرون بصدور مرسوم التسامح الدينى فى عصر الملك قسطنطين ٣١٣م، وهو المسمى "منشور ميلانو" الذى اعترفت فيه الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية ديانة مسموح بها رسميًا. ثم جاءت الحاجة ملحة لعقد مجمع مسكونى بسبب:

أ–حل مشكلات تنظيمية خاصة بالإيبارشيات، ولتحديد موعد موحد لعيد الفصح (عيد القيامة المجيد).
ب– أما السبب المباشر لعقد المجمع فقد كان بدعة أريوس، لأن الإمبراطورية كادت تنقسم بسبب تلك البدعة.

انعقد المجمع المسكونى بأمر الملك قسطنطين خوفًا من الانقسام الحاد الحادث فى الامبراطورية بسبب بدعة أريوس. وكان انعقاده سنة ٣٢٥م فى نيقية بعدد ٣١٨ أسقفًا، كما ذكر القديس أثناسيوس الذى كان شاهد عيان وأحد أعضاء المجمع فى خطاب له[٤]. فى البداية كان ١٦ أسقفًا مؤيدين لأريوس، و٢٢ أسقفًا مؤيدين للبابا ألكسندروس، والباقى لم يكن موقفهم قد تحدد بعد. أما بنهاية المجمع فقد ظل أسقفين فقط مؤيدين لأريوس وهما سيكوندوس وثيئوناس اللذين رفضا التوقيع على إيمان المجمع مع الكهنة الملتصقين بهما[٥]، وفى أيام القديس إبيفانيوس كانت توقيعات الـ ٣١٨ الحاضرين فى نيقية لازالت موجودة.[٦] هذا كان بفضل شرح القديس أثناسيوس للإيمان ورده على إفتراءات أريوس، وفى هذا نرى مدى عظمة الدفاع السكندرى فى المجمع. ولم يكن الوصول لقرار المجمع بالأمر الهين بل استدعى الأمر مجهودًا رهيبًا.

كان البابا ألكسندروس، كما ذكرنا، قد عقد مجمعًا محليًا عام ٣١٨م حرم فيه أريوس وتعاليمه، وجرده من رتبته الكهنوتية. فغادر أريوس مصر إلى فلسطين وآسيا الصغرى إلى صديقه أوسابيوس أسقف نيقوميديا، حيث بدأ فى نشر تعاليمه فى صورة مقطوعات شعرية فى كتابه المسمى "ثاليا" أى الوليمة Banquet، ولحّن هذه المقطوعات ولقّنها لأتباعه ليعلموها للناس فى صورة تراتيل.

[4] Hefele, *A History of the Councils* ,Vol I, p. 271, quoted Athanas. Ed Afros c. 2.
[5] Hefele, *A History of the Councils* Vol I, p. 297, quoted Philostorg. Supplem. 539, ed. Vales Mogunt. 1679; Sozomen i. 21. Socrat. I. 9
[6] Hefele, *A History of the Councils* Vol I, p. 296, quoted Epiphan. Hoeres. 69. 11

انخدع أوسابيوس بضلال أريوس وعقد مجمعين مكانيين سنة ٣٢٢م، ٣٢٣م تقرر فيهما: إلغاء الحرم الصادر من البابا ألكسندروس (١٩) ضد أريوس، وكان ذلك سببًا فى رجوع أريوس إلى الإسكندرية لينفث سمومه هناك ثانيةً، فطرده البابا ألكسندروس مرة أخرى فعاد إلى حيث كان.
لكن بمساعدة يوسابيوس بلغ الأمر إلى الإمبراطور، الذى قام بإرسال هوسيوس أسقف أسبانيا إلى البابا ألكسندروس، وما أن وقف هوسيوس على حقيقة الأمر حتى أبلغ الإمبراطور واقترح عقد مجمع مسكونى للنظر فى هذه الضلالة.

أريوس وهرطقته

بدأ أريوس يعلِّم هرطقته وهو بعد شماس فى عهد البابا بطرس خاتم الشهداء البابا السابع عشر من عداد بطاركة الإسكندرية. وقد حاول البابا بطرس إرجاع أريوس عن معتقده الخاطئ، ولما لم يقبل حرمه البابا وحرم تعاليمه الخاطئة، وبالتالى مُنع من ممارسة الشماسية والتعليم.

كان البابا بطرس قد رأى رؤية فى أثناء سجنه وإذ السيد المسيح واقف بثوب ممزق فقال له: "من الذى مزّق ثوبك يا سيدى"، قال "أريوس". ففهم البابا بطرس أنه، بناء على إعلان سماوى، حتى لو تظاهر أريوس بالتوبة سوف يكون مخادعًا، وأنه سوف يشق الكنيسة. فاستدعى تلميذيه أرشلاوس (أو أخيلاس) وألكسندروس وحذّرهما من أريوس ومن محاللته مهما تظاهر بالتوبة. وبعد أن نال البابا بطرس إكليل الشهادة وتولى تلميذه أرشلاوس الكرسى حاول أريوس أن يتظاهر بالرجوع عن معتقده الخاطئ بأسلوب ملتوى فخالت على البابا أرشيلاوس حيلة أريوس فحاللله ورقاه إلى درجة القسيسية بعد أن كان شماسًا مكرسًا، وكان محرومًا بواسطة البابا بطرس خاتم الشهداء. مما جعل أحد الآباء فى كنيستنا يقول أنه من مراحم الله أن أرشلاوس لم يدم على الكرسى سوى ستة أشهر فقط وإلا انتشرت الأريوسية.

وبنياحة البابا أرشلاوس تبوأ زميله البابا ألكسندروس الكرسى السكندرى فصار البطريرك التاسع عشر فى عداد بطاركة الكرازة المرقسية. والبابا ألسكندروس هو الذى بدأ باستخدام عبارة "هوموأوسيون تو باترى" ὁμοούσιον τοῦ Πατρί للتعبير عن مساواة الابن للآب فى الجوهر، وهى العبارة التى دافع القديس أثناسيوس الرسولى طوال حياته عنها وكتبها فى قانون الإيمان.

القديس أثناسيوس لم يخترع شيئًا جديدًا بل استلم من معلمه وأستاذه البابا ألكسندروس، الذى استلم بدوره من البابا بطرس خاتم الشهداء "الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ" (يه ٣). وحينما وقف الشماس أثناسيوس فى مجمع نيقية يحاور أريوس كان فى وقوفه يشعر بقوة الأبوة التى كان يشمله بها البابا ألكسندروس وبمساندته له، وأيضًا بصلوات البابا بطرس خاتم الشهداء.

كانت للبابا ألكسندروس كتابات ضد الأريوسية، وهو أول من عقد مجمعًا بالإسكندرية حضره مائة أسقف للحكم على أريوس وحرمه فيه، وهو يعتبر من كبار اللاهوتيين فى تاريخ كنيستنا. لكن فى ذلك الحين أثناء الصراع مع أريوس والرد على الآيات التى كان يستخدمها ويسئ تفسيرها كان الأمر يتطلب محاورًا قويًا مثل أثناسيوس. فكان المعلم والتلميذ معًا فى المجمع، وكان التلميذ متفوقًا وبارعًا جدًا أمام كل المجمع بدرجة أثارت انتباه العالم المسيحى كله بالرغم من الاضطهادات التى وقعت عليه حتى أنه أخذ لقب "الرسولى" بعد أن صار بطريركًا.

جمع القديس أثناسيوس بين أمرين: الأول هو أنه استلم الإيمان، والثانى أنه كان محاورًا قويًا قوى الحجة، وقدَّم إيمان أسلافه من البطاركة خاصة البابا ألكسندروس بصورة قوية جدًا، بل ومقنعة جدًا. فوقعت كلمات أثناسيوس القوية وحجته الدامغة وقع المطرقة على أريوس ومؤيديه. وسجد الجميع شاكرين لله على استخدام هذا الشاب الصغير، كما حيّاه الإمبراطور قائلاً: **أنت بطل كنيسة الله.**

ليتكم تقرأون كتابات البابا ألسكندروس فسوف تجدون أنه نفس التعليم الذى علّم به القديس أثناسيوس لكن مع توسع كبير عند القديس اثناسيوس لأنه رد باستفاضة على الفهم الخاطىء للآيات التى استخدمها أريوس.

ويضاف إلى ذلك أن القديس أثناسيوس احتمل آلامًا كثيرة جدًا من تشرد ونفى. وفى أثناء نفيه كان يبشر بالمسيحية فى أوروبا واجتذب إلى الإيمان المسيحى العديد من القبائل الوثنية، ولكنه لم يحاول أن يضمهم إلى إيبارشيته أى إلى كنيسة الإسكندرية.[٧] بشّر البابا أثناسيوس فى أوروبا ولم يطلب من كل من ولدوا فى الإيمان على يديه أن يتبعوا كرسى الإسكندرية، ولم يعمل لنفسه إيبارشية داخل الكرسى الرومانى.

كان كرسى روما وكرسى الإسكندرية فى ذلك الوقت متحدين فى الإيمان إلى حد كبير، على الرغم من مرور فترات ضعف على الكنيسة فى العالم كله، فى مرحلة محدودة، ظل فيها أثناسيوس وحده متمسكًا بالإيمان الصحيح. مر وقت كاد فيه العالم كله تقريبًا أن يصير أريوسيًا لولا أثناسيوس. ففى وقت من الأوقات عزل الإمبراطور البابا الرومانى وعين آخر مكانه ليوقع على قانون الإيمان النصف أريوسى. لكى يعود البابا من سجنه إلى كرسيه (بعد خلو الكرسى مرة أخرى)، وقّع على قانون الإيمان النصف

---

٧) على عكس ذلك يمارس باباوات روما اجتذاب بعض النفوس فى مصر إلى إيمانهم الخاطىء ويسمونهم أقباط كاثوليك، يضموهم إلى كرسى روما. والبعض يقيم عذراً لبابا روما ويقول كما إننا نرعى أقباطاً فى المهجر، لكننا نجيب بأن هذا الوضع يختلف.. هؤلاء مصريون سافروا ومستمرين على إيمانهم ونحن نرعاهم هناك.

أريوسى الذى كان قد رفض التوقيع عليه من قبل. هذه هى المرحلة التى لم يبق فيها سوى أثناسيوس وأساقفته فى مصر وحدهم هم المتمسكون بالإيمان الصحيح. لذلك ليس غريبًا أن يقول إشعياء النبى: "مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ" (أش١٩: ٢٥). لكن فى أوقات أخرى كثيرة ساند كرسى روما البابا السكندرى فى بعض مراحل من كفاحه ضد الأريوسية.

أفكار أريوس الهرطوقية والرد على بعضها

أنكر أريوس ألوهية السيد المسيح متأثرًا ببعض الفلسفات اليونانية القديمة مثل الأفلاطونية (Platonism). فاعتبر أن اللوغوس إله، ولكنه إله مخلوق وليس من جوهر الآب. وإنه كائن وسيط بين الله الإله الحقيقى (الآب) وبين العالم المخلوق لأنه لا يليق أن يتصل الله بالخليقة، وأنه أسمى من أن تكون له علاقة مباشرة بالخليقة. فكيف يخلق الله العالم أو المادة وهو منزّه عن هذا؟ لذلك استخدم اللوغوس –وهو فى رأيه كائن أقل وأدنى من الله– كأداة لخلق العالم. وبهذا فلسف عبارة "**كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ**" (يو١: ٣). وقال أن هذا الكائن الوسيط والأدنى لا يمكن أن يكون مساو لله فى الجوهر والأزلية.

كما فلسف أريوس عبارة "**الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ**" (كو١: ١٧) التى قالها بولس الرسول عن السيد المسيح باعتباره اللوغوس واعتبر أن "كل شيء" تعنى فقط المخلوقات التى خلقها الله بواسطة اللوغوس وليست مطلقة لتستثنى اللوغوس من المخلوقات. كما تفهمها الكنيسة الأرثوذكسية.

وللرد نقول إنه فى نفس الرسالة يقول معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح أنه "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ" (كو١: ١٥)، وبالرجوع إلى أقوى المراجع اللغوية للغة اليونانية اتضح ما يلى:

إن ترجمة كلمة πρωτότοκος التى ترجمت فى الترجمة العربية البيروتية "بكر" فى عبارة "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ =πρωτότοκος πάσης κτίσεως" هى ترجمة غير دقيقة. لأن كلمة πρωτότοκος كلمة مركبة من كلمتين هما: الفعل τίκτω بمعنى "يلد" و πρῶτος. وأما πρῶτος فهى صيغة مبالغة التفضيل من πρό [٨] التى تعنى "قبل–سابق–متفوق" من حيث الزمان والمكان والمنزلة والترتيب والأهمية[٩]. وبالتالى يصير معنى العبارة المعنية:

---

[8] J. H. Thayer, *Greek-English Lexicon of the New Testament*, Hendrickson Publishers, June 1996, p. 554, + Dr. Spiros Zodhiates, *New Testament The Complete Word Study Dictionary*, World Bible Publishers, Inc. lowa Falls lowa, 1992, p. 1248

٩ نفس المرجعين السابقين بالإضافة إلى:

W. Arndt & F. Gingrich, *A Greek-English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature*, the University of Chicago Press, 1979, p. 726, + G. Kittel & G. Friedrich, *Theological Dictionary of the New Testament*, Eerdmans Publishing Co. Reprinted 1992, abridged volume p. 965, + Strong, J. LLD. STD, *The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words*, Thomas Nelson Publishers, USA 1996, p.691.

existing before all creation - superior to all creation - preeminent over all creation [10]

بمعنى "**كائن قبل كل خليقة**" أو "**متفوق على (أعلى/ أسمى من) كل خليقة**" أو "**متميز بتفوق على كل خليقة**". وبصورة أدق للترجمة تكون born before all creation أى "المولود قبل كل خليقة"(*) وهذا المعنى هو المعنى الذى أجمعت عليه الكنيسة الجامعة والكتب المقدسة وأقوال الآباء.

وفى سفر الرؤيا وردت فى الترجمة البيروتية عبارة "بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ" (رؤ٣: ١٤) وصحتها أول مسبب للخليقة أو مصدر الخليقة أو الذى يسود على كل الخليقة.[١١] لأن كلمة آرشى ἀρχὴ اليونانية تعنى "أصل–رأس–مسبب–الذى به يبدأ شيء فى الوجود"[١٢] ولها معانى أخرى: "سيادة–سلطة–سطوة–ملكية تامة". أما فى الكناية عن أشخاص فلا تدل على زمن بل على أسبقية وسيادة وتفوق[١٣] وهو المعنى فى هذه الآية، بذلك تكون الترجمة الصحيحة لها "أصل أو مسبب كل خليقة". وبالنظر إلى (كو١: ١٥) و (كو١: ١٧) فإن المعنى المناسب هو "**أصل خليقة الله**". أحيانًا يكون الأصل هو بداية الشيء مثل منابع النيل مثلاً، فإنه يمكننا أن نقول أن منابع النيل هى أصله.

لقد اعتبر أريوس أن الابن هو أول المخلوقات، وإنه قابل للتغيير وقابل للخطية كسائر المخلوقات. وقال طالما أن الابن مولود (باليونانى γενητός جينيتوس)، والآب هو الوحيد الغير المولود (باليونانى ἀγένητος آجينيتوس)؛ فيكون الآب وحده هو الإله لأنه يتفوق على الابن بسبب أن الابن مولود والآب غير مولود. وحيث إن الابن مولود، إذن –ففى رأى آريوس– هناك بداية لوجوده، وبالتالى كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا. ويتبع ذلك أن الابن بدايته من لا شيء.

ونادى أريوس بأن الله لم يكن دائمًا آب، بل مر وقت لم يكن فيه أبًا. وأن اللوغوس غريب عن الجوهر الإلهى وليس منه. وهو لا يعرف الله تمامًا بل لا يعرف طبيعته تمام المعرفة. وأنه خُلق لأجلنا لكى يخلقنا الله بواسطته كأداة. ولم يكن له وجود إلا بدعوة الله له للوجود من أجل محبته لنا.

---

[10] Barclay Newman, Jr. *Greek-English Concise Dictionary of the New Testament*, 1971 by the United Bible Society used by permission of Mrtascii Version reformatted, corrected and updated in 1987 by CCAT University of Pensylvania, + Dr. Spiros Zodhiates, *New* Testament The Complete Word *Study Dictionary*, World Bible Publishers, Inc. lowa Falls lowa, 1992, p. 1249-1250.

* Dr. Mourice Tawedros, Professor of New Testament Greak Cairo Theolugical Coptic Orthodox School.

"*الفكر اللاهوتى عند القديس بولس الرسول*" للدكتور موريس تاوضروس صفحة ٦٧ .

[11] Dr. Spiros Zodhiates, *New Testament The Complete Word Study Dictionary*, World Bible Publishers, Inc. lowa Falls lowa, 1992, p. 1250

[12] . H. Thayer, *Greek-English Lexicon of the New Testament*, Hendrickson Publishers, June 1996, p. 77.

[13] Dr. Spiros Zodhiates, *New Testament The Complete Word Study Dictionary*, World Bible Publishers, Inc. lowa Falls lowa, 1992, p. 260-261.

** انظر

G. P. Fisher, H. Cunliffe-Jones, A History of Christian Doctrine – T. & T. Clark LTD, Edinburgh, p.73

كما أنكر ألوهية الروح القدس، وبذلك يكون قد أنكر الثالوث القدوس. **وفى ذلك أريوس تبع نظرية التدنى** subordination **التى نادى بها أوريجانوس.** فأوريجانوس يعتقد (مثله فى ذلك مثل إكليمندس) أن اللاهوت يوجد فى مستويات مختلفة. فهناك تضيق نزولاً من القمة الهرمية الإلهية المتسعة حيث الآب المصدر الذى لا يشترك فى مرحلة أعلى للوجود الإلهى ومنه تتبع الألوهة فى كل مستوى وتتزل فى ترتيب اشتراك وتدنى وظيفى من خلال الكلمة والروح القدس. (**)

استخدم أريوس تفسيرات خاطئة لكثير من آيات الكتاب المقدس التى وردت أغلبها لكى تشير إلى حقيقة إنسانية السيد المسيح وعمله الفدائى لخلاص البشرية. وقد أراد السيد المسيح فى بعضها أن يثبت أنه لا يعمل مستقلاً عن الآب.

وقول السيد المسيح عن نفسه "**الْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا**" (رؤ١: ١٨)، يقول أريوس إنه من غير الممكن أن يقول الله ذلك عن نفسه. ويستشهد بقول معلمنا بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس عن الآب "الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ، مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ. الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ" (١تى٦: ١٥-١٦). فالآب هو الوحيد وحده الذى له عدم الموت. ويتساءل آريوس: كيف يقول المسيح عن نفسه "الحى وكنت ميتًا" ويكون هو الله؟!.

وللرد على ذلك نقول إنه عندما مات السيد المسيح، مات بحسب الجسد، وحتى روحه الإنسانى لم يمت. فيقول معلمنا بطرس فى رسالته الأولى عن السيد المسيح "**مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ.** الَّذِي فِيهِ أَيْضًا **ذَهَبَ فَكَرَزَ** لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ" (١بط٣: ١٨-١٩). "الذى ذهب" هو اللوغوس، وطالما ذهب اللوغوس فهو لم يمت بحسب لاهوته وحتى الروح الإنسانى أيضًا لم يمت، لأنه وهو متحد باللاهوت ذهب إلى الجحيم من قِبل الصليب.

استخدم أريوس الآيات التى تشير إلى إنسانية السيد المسيح وطبّقها على ألوهيته؛ هنا تكمن الخطورة! وبنفس الطريقة استخدم أريوس آية "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ" (مت٢٤: ٣٦) وغيرها، وطبقها على لاهوت السيد المسيح.

وقد قام القديس أثناسيوس بالرد على الآيات التى استخدمها الأريوسيون فى رسائله الأربعة Contra Arianos ضد الأريوسيين Four Discourses Against the Arians المنشورة فى مجموعة نيقية وما بعد نيقية Nicene & Post Nicene Fathers، إلى جوار كتاب "تجسد الكلمة" الذى كتبه أثناسيوس قبل أن يدخل فى الصراع ضد الأريوسية، وقبل أن يصير بطريركًا للإسكندرية.

لم يكن **أريوس** وحده هو الذى نادى بهذه الأفكار بل إن **إفنوميوس** أيضًا تبناها فى منطقة كبادوكيا، وقد رد عليه **القديس أغريغوريوس النيزينزى** الثيؤلوغوس (الناطق بالإلهيات) فى **العظات الخمس** التى

تسمى Five Theological Orations التى دافع فيها عن الثالوث القدوس. وهى من أجمل وأقوى كتابات القديس غريغوريوس الثيئولوغوس، بل من أقوى ما قاله الآباء القديسون فى شرح عقيدة الثالوث. وهى تبدو صعبة لأول وهلة، ولكن السبب فى ذلك هو صعوبة الصراع ضد الهراطقة، ومنهم أريوس، الذين يستخدمون أدلة فلسفية ماكرة تحتاج رد قوى يفحم هذا الدليل المبتدع.

فالصراع كان أحيانًا فى الإسكندرية بين البابا ألكسندروس وأريوس، وأحيانا فى آسيا الصغرى بين القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات وأمثال أريوس مثل إفنوميوس.

الرد على المفاضلة بين مولود وغير مولود

Agenitos ἀγένητος –Genitos γενητός

يقول الأريوسيون أن الآب متفوق على الابن (وبالتالى أيضًا على الروح القدس لأن الروح القدس منبثق، أما الآب فغير منبثق. فما يقولونه عن الولادة فيما يخص الابن يقولونه عن الانبثاق فيما يخص الروح القدس إلى جوار أنهم يعتبرون الروح القدس مجرد طاقة أو قوة وليس أقنومًا له شخصيته وكينونته الحقيقية غير المنفصلة عن كينونة الآب والابن) لكن التركيز كان على الابن عند أريوس. فيقول أريوس أن الابن لا يمكن أن يكون مساوى للآب فى الجوهر لأن الآب جوهره غير مولود والابن جوهره مولود.

وهنا نجد خدعة مستترة وهى أن "الولادة" و"عدم الولادة" ليست من صفات الجوهر الإلهى، لكنها صفة أقنومية. فأريوس قد خلط ما بين الخاصية الأقنومية وبين صفات الجوهر، وحوّل الصفة الأقنومية إلى صفة من صفات الجوهر الإلهى وبذلك فصل جوهر الابن عن جوهر الآب، واعتبر أن الآب كائن كينونة لا تعتمد على آخر Independent existence بينما الابن كينونته متوقفة على الآب. أى أنه اعتبر أن كينونة الابن كينونة من نوع آخر. أما كينونة الآب فنابعة منه وهو يملكها، وكما يقول علماء اللاهوت أنه يملك فى ذاته علة وجوده. أما بحسب رأى أريوس فإن الابن لا يملك فى ذاته علة وجوده، لأن وجوده نابع من الآب ومعتمد على الآب. وبذلك وضع أريوس جوهرين:

١- جوهر يملك فى ذاته علة وجوده.

٢- جوهر لا يملك فى ذاته علة وجوده وهو حادث أو مخلوق أو له سبب ويعتبر نتيجة وبذلك لا يمكن أن يكون هذان الجوهران متساويين.

وللرد على ذلك نقول إن الولادة وعدم الولادة ليست صفة جوهرية، إنما هى صفة أقنومية.

الأبوة: خاصية أقنومية ينفرد بها الآب فى الثالوث.

البنوة (بمعنى أنه مولود أى المولودية)**:** خاصية أقنومية ينفرد بها الابن فى الثالوث.

الانبثاق من الآب: خاصية أقنومية ينفرد بها الروح القدس فى الثالوث.

المشكلة التى يثيرها الأريوسيون هى أن الابن يستمد كينونته من الآب بالولادة الأزلية قبل كل الدهور. ويقول الأريوسيون إن مجرد الولادة فى حد ذاتها تعنى تفوق الآب على الابن، لأن الابن يستمد جوهره ووجوده من الآب. إذن الآب هنا متفوق باعتباره الأصل.

وللرد على ذلك نقول: هل كون الآب هو وحده الذى لا يستمد وجوده من أقنوم آخر يعنى إنه يتفوق فى الجوهر على الابن وأيضًا على الروح القدس؟ ببساطة شديدة إذا كان الابن يستمد كينونته وجوهره بالولادة من الآب قبل كل الدهور، فإن الآب لا يمكن أن يكون هو الإله الحقيقى بدون الابن وبدون الروح القدس.

مثال لذلك نقول: هل يجوز أن يسأل أحد إن كان الحكيم أعظم من الحكمة أم لا؟ فالسؤال فى حد ذاته هو سؤال خطأ، لأن الحكيم لا يحسب حكيمًا بدون الحكمة النابعة منه. ومع إنه هو أصل الحكمة أو هو ينبوع الحكمة، إلا أن الحكمة هى من صميم طبيعته وجوهره. فالفرق بين الحكمة والحكيم ليس فى جوهر الحكمة، ولكن الفرق هو فى؛ من هو الينبوع؟ ومن هو التيار؟

هكذا تتمايز الأقانيم الثلاثة فيما بينها فى الخواص الأقنومية

فالآب : هو الأصل والينبوع.

والابن : هو المولود من الآب.

والروح القدس : هو المنبثق من الآب.

وقد استخدم القديس أثناسيوس تشبيه الينبوع والتيار فى وصف العلاقة بين الآب والابن. فقال الينبوع والتيار هما نفس الماء الواحد (مياه واحدة). **الينبوع هو والد والتيار هو مولود.** ولكن ينبوع الماء لا يلد تيارًا من الزيت أو الزئبق أو أى سائل آخر. **وبهذا لا نرى اختلافًا فى الجوهر بين الينبوع والتيار.** فلا يمكن لينبوع ماء حلو أن ينتج تيارًا من ماء مر أو ماء مالح. وقد تكلم القديس يعقوب الرسول عن هذه النقطة فقال: " أَلَعَلَّ يَنْبُوعًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ؟ هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تِينَةٌ أَنْ تَصْنَعَ زَيْتُونًا، أَوْ كَرْمَةٌ تِينًا؟ وَلاَ كَذَلِكَ يَنْبُوعٌ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحًا وَعَذْبًا!" (يع٣: ١١-١٢).

قال القديس أثناسيوس: [ولكن كما أن النهر الخارج من الينبوع لا ينفصل عنه، وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئين مرئيين واسمين. لأن الآب ليس هو الابن، كما أن الابن ليس هو الآب، فالآب هو أب الابن، والابن هو ابن الآب. **وكما أن الينبوع ليس هو النهر، والنهر ليس هو الينبوع، ولكن لكليهما نفس الماء الواحد الذى يسرى فى مجرى من الينبوع إلى النهر، وهكذا فإن لاهوت الآب ينتقل فى الابن بلا تدفق أو انقسام.** لأن السيد المسيح يقول "خرجت من الآب" وأتيتُ من عند الآب. ولكنه

دائمًا أبدًا مع الآب، وهو فى حضن الآب. وحضن الآب لا يَخْلُ أبدًا من الإبن بحسب ألوهيته.][14]. لأن القديس يوحنا الإنجيلى يقول: "اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو ١: ١٨). فحضن الآب لا يخلو أبدًا من الابن حتى حينما تجسد عندما أرسله الآب إلى العالم وقال: "خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ" (يو ١٦: ٢٨).

والقديس أثناسيوس الرسولى يشير إلى أن الآب هو ينبوع الحكمة وينبوع الحياة. وأن الابن هو الحكمة وهو الحياة. وإليك نص ما قاله فى ذلك: **[** إن كان يقال عن الله أنه ينبوع حكمة وحياة كما جاء فى سفر أرمياء "تَرَكُونِي أَنَا **يَنْبُوعَ** الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ" (أر ٢: ١٣) وأيضًا "كُرْسِيٌّ مَجْدٍ مُرْتَفِعٌ مِنَ الاِبْتِدَاءِ هُوَ مَوْضِعُ مَقْدِسِنَا. أَيُّهَا الرَّبُّ رَجَاءُ إِسْرَائِيلَ كُلُّ الَّذِينَ يَتْرُكُونَكَ يَخْزُونَ. الْحَائِدُونَ عَنِّي فِي التُّرَابِ يُكْتَبُونَ لأَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ **يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ**" (أر ١٧: ١٢، ١٣). وقد كتب فى باروخ "إنك قد هجرت ينبوع الحكمة" (باروخ٣: ١٢) وهذا يتضمن **أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع** بل هما خاصة له (خواص له)، ولم يكونا أبدًا **غير موجودين**، بل كانا دائمًا **موجودين**. والآن فإن الابن هو كل هذه الأشياء وهو الذى يقول: "**أَنَا هُوَ.. الْحَيَاةُ**" (يو ١٤: ٦)..[15] **كيف إذًا لا يكون كافرًا من يقول "كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجودًا لأن هذا مثل الذى يقول تمامًا كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافًا خاليًا من الحياة والحكمة. ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعًا، لأن الذى لا يلد من ذاته (أى من نبعه الخاص) لا يكون ينبوعًا.]** (المقالة الأولى ضد الأريوسية، فصل ٦ : ١٩).

الينبوع إذا لم يلد لا يكون ينبوعًا فإذا ألغينا الابن فإننا نلغى الآب. "لأن الذى لا يلد من ذاته (أى من نبعه الخاص) لا يكون ينبوعًا" كما قال القديس أثناسيوس. ظن أريوس أن الآب متفوق لأنه هو وحده الذى يلد، لكن هل هناك آب بدون ابن؟

وفى دفاع القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات عن ألوهية الابن فى مقالاته اللاهوتية الخمسة التى قالها ردًا على إفنوميوس الأريوسى قال [وتسألنى (يسخر منه) متى ولد الابن (متى خلق)؟ فأقول لك لقد ولد الابن حينما لم يكن الآب مولود] [16]. وهو بذلك يريد أن يحرج الأريوسيين بأنهم ينكرون أبوة الآب الأزلية حينما ينكرون أزلية الابن. لأن القديس غرغوريوس قال إن الأبوة بالنسبة للآب لا يمكن أن تكون صفة حادثة أو مكتسبة. ولم يحدث إطلاقًا أن الآب لم يكن آبًا لكى ننكر ميلادًا للابن منه بلا

---

[14] P. Schaff & H. Wace, N & P. N. Fathers, series, 2, Vol IV, Saint Athanasius, Exposito Fidei (Statement of Faith) P. 84,85, Eerdmans Pub. 1978.

١٥ وأيضاً "فبالمسيح قوة الله وحكمة الله" (١كو ١: ٢٤).

[16] P. Schaff & H. Wace, N & P. N. Fathers, series, 2, Vol VII, Saint Gregory of Naziansus, Third Theological Oration, article III, Eerdmans Pub. Sept. 1978, P. 301.

بداية وقبل كل الدهور وبالطبيعة وليس بالإرادة. أى أن الابن مولود ولادة طبيعية من الآب، فلم يحدث أن الآب كان كائنًا ثم فكّر فى زمن ما لماذا لا يكون آب، فولد الابن.

ومثال ذلك نقول: إن العقل بغير الفكر لا يحسب عقلاً على الإطلاق. فإذا كان العقل ليس له بداية، فالفكر ليس له بداية. ومع أن العقل والد والفكر مولود، ومع أن العقل هو أصل الفكر، إلا أن العقل لا يسبق الفكر فى الوجود. وكما قلنا سابقًا إن الحكيم لا يحسب حكيمًا بغير الحكمة. ولا توجد قوة فى الوجود تستطيع أن تسلخ الحكمة من الحكيم. فإذا كان الحكيم يعطى للحكمة وجودها، فإن الحكمة تعطى للحكيم قيمته وحقيقة طبيعته. لأنه إذا فقدها يفقد قيمته ويفقد كنهه؛ وصفة جوهره.

إن اللهب لا يحسب نارًا بغير حرارة نابعة منه. فإذا فقد اللهب الحرارة، لا يُدعى نارًا على الإطلاق. فما المفاضلة إذًا؟
إذا كان اللهب هو أصل الحرارة، فإنه يُحسب نارًا بحرارته، فإذا فقدها يفقد كنهه ويفقد قيمته. فكيف يسأل سائل أيهما أعظم اللهب أم الحرارة النابعة منه؟! لا يوجد لهب بدون حرارة، ولا توجد حرارة بدون لهب أى مصدر لها.

وختامًا لهذه القضية نقول إن الفرق بين الآب والابن ليس هو فى الجوهر ولا فى الكينونة ولا فى الوجود، بل هو فقط فى حالة الوجود. فهل يختلف جوهرك أنت إذا كنت جالسًا على كرسى فى حجرة أو كنت فى قطار مسرع؟ إن الفرق هو فى حالة الوجود وليس فى الوجود.
كل والد يلِد مولود من نفس جوهره وطبيعته. لكن فى حالة أى كائن فإن المولود يكون كائن مستقل ويحدث انفصال رغم أن الوالد يلد كائن مساوى له فى الجوهر. أما فى الثالوث فإن الولادة خارج الزمن، فليس هناك بداية وليس هناك سابق ومسبوق. هى مثل ولادة الفكر من العقل. فبما أن الآب هو ينبوع الحكمة والابن هو الحكمة؛ إذن لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض. لا يوجد إنفصال فى الثالوث بل الولادة هى مثل ولادة التيار من الينبوع، والعقل من الفكر، والشعاع من النور.

فى حواره مع إفنوميوس شرح القديس غريغوريوس الثئولوغوس ما يلى: كيف تدَّعى أن صفات الأبوة والبنوة تُغيّر الجوهر ما بين الآب والابن؟ هل يمكن أن يلد الإنسان غزالاً أو قردًا؟! إن الوالد يلد كائن مساوى له فى الجوهر. فالأبوة خاصية تتعلق بالأقنوم ولا تتعلق بالجوهر. لأنها خاصية أقنومية، وليست من خواص الجوهر.

مساوى فى الجوهر أم واحد فى الجوهر ؟

نعود إلى شرح هذه النقطة، وسوف نستخدم لذلك التشبيه التالى:

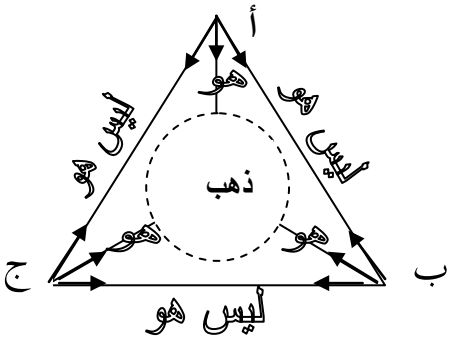

أ و ب ـــــــــــــــــــــــ ج (الذهب = صفر)

إذا كان لدينا مثلث من معدن الذهب، إذا كان معدن المثلث هو الذهب فإن رؤوسه الثلاثة تكون من الذهب أيضًا. أى أن الذهب واحد، وهذا هو الجوهر. أ هو ذهب / ب هو ذهب / ج هو ذهب. والذهب الذى يخص أ يساوى الذهب الذى يخص ب و ج، ومع ذلك فإن هناك ذهب واحد وليس أكثر. وبهذا يكون أ واحد مع ب فى الجوهر وأيضًا مساوى له فى الجوهر.

"**واحد فى الجوهر**" لأن الجوهر غير منقسم، و"**مساوى**" لأن نصيبه من الذهب ليس أقل. لكن إذا قمنا بلصق جرام ذهب مع كيلو من الذهب يكون الاثنين واحد فى الجوهر لكنهما غير متساويين. لذلك فإن عبارة واحد مع الآب فى الجوهر غير كافية خاصة إنها لا تعطى انطباعًا بأن هناك أقنوم يسمى الآب وآخر يسمى الابن. وكان القديس أثناسيوس يحتاط من هرطقة سابيليوس الذى كان يؤمن بالأقنوم الواحد. قال سابيليوس أن الله لما خلقنا كان يسمى الآب ولما خلّصنا كان يسمى الابن ولما قدّسنا كان يسمى الروح القدس. وأن الآب هو الابن هو الروح القدس، أقنوم واحد بثلاثة أسماء. وبهذا فقد مفهوم الثالوث، فهو آمن بالتجسد والفداء لكنه لم يؤمن بحقيقة أن الابن هو ابن وأن الآب هو آب، أى ألغى حقيقة الابن واعتبره مجرد اسم وليس حقيقة.

هل فى التشبيه السابق نستطيع أن نقول أن أ هو ب؟ بالطبع لا، لأن أ إذا انطبق على ب يصير المثلث خط مستقيم. وإذا انطبقت النقط أ، ب، ج سيتحول المثلث إلى نقطة مساحتها صفر وبهذا يؤول الذهب إلى صفر، أى ينعدم الجوهر وينعدم التمايز. هكذا إذا طبقنا نفس الأمر على الثالوث:

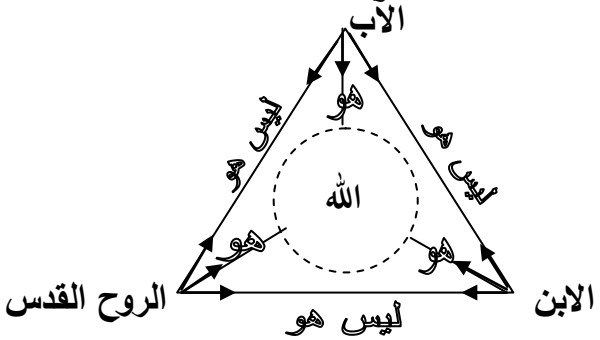

وحدانية الجوهر وتمايز الأقانيم

الآب : هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأقنوم.

الابن : هو الله من حيث الجوهر، وهو المولود من حيث الأقنوم.

الروح القدس: هو الله من حيث الجوهر، وهو المنبثق من حيث الأقنوم.

الله له جوهر واحد فى ثلاثة أقانيم متساوية فى الجوهر.

تشترك الأقانيم معًا فى جميع خواص الجوهر الإلهى الواحد وتتمايز فيما بينها بالخواص الأقنومية.

الآب: هو الأصل أو الينبوع فى الثالوث وهو أصل الجوهر وأصل الكينونة بالنسبة للأقنومين الآخرين.

الابن: هو مولود من الآب ولكن ليس مجرد صفة بل أقنوم له كينونة حقيقية وغير منفصل عن الآب لأنه كلمة الله.

الروح القدس: ينبثق من الآب ولكنه ليس مجرد صفة، بل أقنوم له كينونة حقيقية وغير منفصل عن الآب لأنه روح الله.

من الخطورة أن نعتبر أن الأقانيم هى مجرد صفات لله وكأن الجوهر يخص الآب وحده، وبهذا ننفى الجوهر عن الابن والروح القدس، أو ننفى كينونتهما، ويتحولان إلى صفات لأقنوم إلهى وحيد هو أقنوم الآب وهذه هى هرطقة سابيليوس.

مفتاح المسيحية هو أن "اللهَ مَحَبَّةٌ" (١يو٤: ٨، ١٦)

من كان الآب يحب قبل أن يخلق العالم والملائكة والبشر؟ إذا أحب الله الآب نفسه، يكون أنانيًا ego-centric؛ وحاشا لله أن يكون هكذا. إذن لابد من وجود محبوب، كما قال السيد المسيح فى مناجاته للآب قبل الصلب "لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم" (يو١٧: ٢٤). وبوجود الابن يمكن أن نصف الله بالحب أزليًا وليس كأن الحب شيء حادث أو مستحدث بالنسبة لله. فالأبوة والحب متلازمان، طالما وجدت الأبوة فهناك المحبة بين الآب والابن.

ولكن الحب لا يصير كاملاً إلا بوجود الأقنوم الثالث. لأن الحب نحو الأنا، هو أنانية وليس حبًا. والحب الذى يتجه نحو الآخر الذى ليس آخر سواه (المنحصر فى آخر وحيد) هو حب متخصص رافض للاحتواء exclusive love بمعنى إنه حب ناقص. ولكن الحب المثالى هو الذى يتجه نحو الآخر وإلى كل من هو آخر inclusive love. وهنا تبرز أهمية وجود الأقنوم الثالث من أجل كمال المحبة.

وإذا وجدت الخليقة فى أى وقت وفى أى مكان فهى تدخل فى نطاق هذا الحب اللانهائى لأن مثلث الحب هنا هو بلا حدود ولا مقاييس. هذا الحب الكامل يتجه أيضًا نحو الخليقة حيثما وحينما توجد. كما قال السيد المسيح للآب: "لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو١٧: ٢٦). إن الحب الكامل هو الحب بين الأقانيم الثلاثة وهذا هو أعظم حب فى الوجود كله.

لكن قد يسأل سائل **لماذا لا تكون الأقانيم أربعة أو خمسة؟** وللرد نقول أن أى شيء ناقص فى الله يعتبر ضد كماله الإلهى، كما أن أى شيء يزيد بلا داعى يعتبر ضد كماله الإلهى.

إن مساحة هذا المثلث ما لا نهاية، أى أن مساحة الحب بين الأقانيم الثلاثة هى ما لا نهاية، ومثلث الحب هذا يتسع حتى يشمل كل الخليقة، فأى كائن يقع داخل نطاق المثلث يشمله هذا الحب فما الداعى لنقطة رابعة أو خامسة.

إذا كان المثلث نقطة أو مستقيم تكون مساحته صفر كما قلنا، حتى إذا كان طوله ما لا نهاية، لكن حين صار مثلثًا صارت له مساحة. فإن كانت المساحة ما لا نهاية فإنها تشمل كل الخليقة، فلا يحتاج الأمر إلى مربع أو مسدس. يكفى لكى تكون هناك مساحة أن يكون مثلث.

مثال توضيحى

إذا اشتريت خط مستقيم من القاهرة إلى بنها ولكن ليس له عرض فأنت لم تشترى أرض على الإطلاق. لكنك تعتبر نفسك اشتريت مساحة أرض فقط إذا كان لها طول وعرض. فالخط إذا كان عرضه صفر حتى وإن كان طوله ما لا نهاية فهو يؤول إلى صفر.

عرض تاريخى
لبعض الأحداث التى سبقت ظهور مقدونيوس وأتباعه
والتى أدت إلى مجمع القسطنطينية
(الفترة ما بين مجمع نيقية ٣٢٥م ومجمع القسطنطينية ٣٨١م)

تأثير تعاليم أوريجانوس فيما يخص البدع الخاصة بالروح القدس

مهّد تعليم أوريجانوس عن الابن والروح القدس لثلاث بدع هى: بدعة أريوس، وبدعة إنكار ألوهية الروح القدس، وأيضًا بدعة انبثاق الروح القدس من الابن.

يضع أوريجانوس الروح القدس فى درجة أقل من الابن، لا بالنسبة للكرامة بل بالنسبة للأصل، فهو يقرر أن الابن وحده هو من الآب فقط، ولكن الروح القدس هو من الآب بواسطة الابن. وهنا تظهر بداية بدعة الكاثوليك فى انبثاق الروح القدس من الآب والابن.

وفى شرحه لعبارة "**كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ**" (يو ١: ٣) فى بداية انجيل يوحنا تساءل أوريجانوس قائلاً: "والآن، كما رأينا، فإن كل الأشياء عملت من خلاله (اللوغوس). وهنا يجب أن نتساءل إن كان الروح القدس أيضًا قد عُمل من خلاله؟ يبدو لى أن هؤلاء الذين يتمسكون بأن الروح القدس مخلوق، والذين يقبلون أن "كل شيء به كان" لابد أنهم يفترضون أن **الروح القدس عُمل من خلال الكلمة، لكون اللوغوس بالتالى أكبر منه.** وهذا الذى يخشى السماح للروح القدس بأن يكون قد عُمل من خلال المسيح، **يجب عليه إن كان يقبل الحق الذى ورد فى آيات الإنجيل،** أن يفترض أن الروح القدس غير مخلوق. هناك مصدر ثالث بالإضافة إلى هذين الاثنين (الذى يفترض أن الروح القدس عُمل من خلال الكلمة، ويعتبره غير مخلوق)، وبالتحديد لتأكيد على أن الروح القدس ليس له جوهر مستقل به فيما وراء الآب والابن...

[لكن] **هناك ثلاث أقانيم الآب والابن والروح القدس؛ وفى نفس الوقت لا نؤمن بأن هناك ما هو غير مخلوق سوى الآب. لذلك بما إننا أكثر وقارًا وأصدق فى سبيلنا، فإننا نقبل أن كل الأشياء عُملت بالكلمة، وأن الروح القدس أكثر سموًا من كل الخليقة، والأول من حيث الترتيب بالنسبة لكل ما عمله الآب من خلال المسيح. وقد يكون هذا هو السبب فى أنه لا يقال أن الروح القدس هو ابن الله الخاص**".[١٧]

[17] Origen, ***Commentary on John* ii.6**, ANF 10:328, quoted by Stanley M. Burgess, *The Spirit and the Antiquity of the Church*, Hendrickson Pub. USA, 1984, p. 73

وهكذا **مهد أوريجانوس لإنكار أريوس ومن بعده مقدونيوس للاهوت الروح القدس.** وقد وقع **ثيئوغنسطس** فى نفس الخطأ باعتماده على تعاليم أوريجانوس.

سؤال: هل الجذور الأساسية لهرطقة مقدونيوس هى الهرطقة الأريوسية وفكر أوريجانوس؟

أن يقول أحد بعدم مساواة الابن للآب فى الجوهر هذا يعنى أنه تكونت عنده فكرة أن الجوهر الإلهى للآب منعزل ومستقل. هذه الفكرة تفرخ بأن الابن غير مساوى للآب أو الروح القدس غير مساوى للآب والابن وهكذا. كلها تداعيات تبدأ بفكرة أن الآب متفوق بجوهره عن الابن والروح القدس. كان البابا ثيئوفيلس محقًا فى قوله أن أوريجانوس هو ينبوع الهرطقات. فبالحقيقة أوريجانوس هو الذى أفرخ كل هذه الهرطقات حتى النسطورية لأنه كان يؤمن أن اللوغوس كان متحدًا(*) بروح يسوع الإنسانية قبل خلقة آدم وأنه فى ملء الزمان جاءت هذه الروح الوحيدة التى لم تسقط بين البشر كلهم وحلت فى بطن العذراء. ففكرة أن الروح الإنسانية هى حلقة الاتصال بين اللاهوت والجسد أخذها نسطور من أوريجانوس.

تعليم آباء القرون الأولى عن الروح القدس

فى نهاية القرن الثالث الميلادى شهد **ميثوديوس** (٢٦٠-٣١٢) أسقف صور لتقليد الكنيسة الرسولى وقال صراحة "إن الروح القدس ὁμοούσιον πνεῦμα (of one and the same essence with him) مساوى للآب فى الجوهر (هومو أوسيون ابنفما) ".[١٨]

وقد سبق ذلك **القديس اغناطيوس الأنطاكى** (الثيئوفورس) وهو أول بطريرك لأنطاكية بعد عصر الرسل، وعلى اسمه يسمى كل بطاركة الكرسى الأنطاكى (مار اغناطيوس يعقوب الثالث– مار اغناطيوس زكا الأول..). كتب عن الروح القدس فى رسائله باختصار لكن فى وعى أصيل بخصوص دوره فى الكنيسة. وتكلم عن الثالوث معًا فى فقرتين، فى إحداهما يجعل الترتيب هو: الابن والآب والروح القدس[١٩]. أى أنه يعتبر الروح القدس ضمن الثالوث وواحد فى الجوهر **لكن متمايز من حيث الأقنوم.**

كان القديس اغناطيوس يعرف أن الروح القدس أقنوم يقول "أفرزوا لى برنابا وشاول.." أى أنه يتكلم، ويقود، ويعلّم، ويرشد. من الصعب أن تُفهم فكرة أن الروح القدس له شخصية. فالآب معروف **والابن جاء**

---

* نسطور كان يرفض الاتحاد الأقنومى والاتحاد الطبيعى، ولكنه كان يقبل الاتحاد الخارجى فى الصورة؛ أى الإتحاد البروسوبونى (الشخصانى). ولكن بالنسبة للطبائع يقول بالاتصال أو المصاحبة con junction سينافيا συναφεια وليس الاتحاد.

[18] The Ante Nicene Fathers, Vol. 6 Methodius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Oration Concerning Simon and Anna, par. 2. p. 384.

[19] The Ante Nicene Fathers, Vol 1, Ignatius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, **Epistle of Ignatius to the Magnesians**, chapter 13 p. 64; quoted by Stanley M. Burgess, *The Spirit and the Antiquity of the Church*, Hendrickson Pub. USA, 1984.

كشخص وعاش وسط الناس ونظروه، ولا ينكر أحد أن الابن شخص. أما الروح القدس فقد يظنه البعض **طاقة أو قدرة،** هنا تبرز أهمية إعلان القديس اغناطيوس عن الإيمان المسلَّم عن حقيقة الروح القدس بهذه الصورة، وقد كان هذا نتيجة لقربه من العصر الرسولى.

أما **الشهيد ثيئوفيلوس الأنطاكى** فقد طبّق تعبير الثالوث **Trinity** على اللاهوت فى كتاباته موضحًا **أنه الله وكلمته وحكمته،**[٢٠] ويبدو أنه كان يقصد روح الحكمة فى إشارته إلى الروح القدس عندما أطلق عليه لقب الحكمة. ولكن نظرًا لأن هذه الأمور كانت فى فجر المسيحية **(فى القرن الثانى الميلادى)** فلم يكن لقب روح الحكمة قد استقر بعد فى تسمية الروح القدس. فيقول الشهيد ثيئوفيلوس العبارة التالية:
τριάδος τοῦ θεοῦ καὶ τοῦ λογοῦ αὐτοῦ καὶ τῆς **σοφίας** αὐτοῦ (تريادوس تو ثيئو كى تو لوغو آفتوكى تيس صوفياس آفتو) The Trinity of God and His Word and His Wisdom وتعنى "**ثالوث الله وكلمته وحكمته**".[٢١]

وأهمية قول ثيئوفيلوس الأنطاكى هذا هو أنه تكلم عن لقب "**الثالوث**" لأول مرة بالنسبة للأقانيم الثلاثة. ففى الأناجيل يُذكر أن الآباء الرسل كانوا يعمدون باسم الآب والابن والروح القدس، وتكلموا عن الروح القدس والابن والآب. لكن أول من جمع الثلاثة فى تعبير واحد سمى الثالوث τριάδος كان فى كتابات ثيئوفيلوس الأنطاكى. وإن كان ثيئوفيلوس الأنطاكى قد سمى الروح القدس "الحكمة" لكن لأنه قال "الله والكلمة والحكمة" فمفهوم أن المقصود باللقب الثالث هو أقنوم الروح القدس. ونحن لا ننفى أن الروح القدس هو روح الحكمة. ففى ذلك الزمان، كما أشرنا سالفًا، لم تكن الألفاظ اللاهوتية قد استقرت بعد فكان كل واحد يعبِّر عن الإيمان الذى يعيش فى ضميره بتعبيرات معينة. لكننا نعترف بفضل القديس ثيئوفيلوس الأنطاكى أنه قدّم تعبير "الثالوث" إلى التعبيرات اللاهوتية فى الكنيسة.[٢٢]

أما **القديس أثناسيوس** فقد قاوم فى رسالته الثالثة ضد الأريوسيين فكرة أن الروح القدس هو الذى يوحّد الآب بالابن، أو يمثل الرباط بين الآب والابن، لأن الروح القدس لو كان هو مجرد رباط الوحدة بين الآب والابن، فهو إذن ليس أقنومًا. وهذا هو الخطأ الذى يقع فيه الكاثوليك حتى يومنا هذا. فيقول الكاثوليك أن الآب هو المحب والابن هو المحبوب والروح القدس هو الحب الذى يجمعهما.

---

[20] Stanley M. Burgess, *The Spirit and the Antiquity of the Church*, Hendrickson Pub. USA, 1984, p. 32

[21] The Ante Nicene Fathers Vol, 2 Theophilus, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, **Theophilus to Autolycus**, Book 2, Chapter 15 p. 101.

٢٢ وهكذا ذكر فى الكتاب المقدس أن التلاميذ دعوا مسيحيين أولاً فى أنطاكية (انظر أع ١١: ٢٦). أى أن هذا لم يكن لقبهم من البداية. هكذا كان الإيمان بالثالوث يعيش فى الكنيسة منذ اللحظة الأولى لكن لقب "ثالوث" جاء لاحقاً.

لقد قاوم **القديس أثناسيوس** هذا الفكر فقال: "لأن الابن لا يأخذ الروح القدس لكى يصير هو أيضًا فى الآب، ولا الابن يتقبَّل الروح القدس بل بالحرى هو بنفسه يمّد به الجميع، **والروح القدس لا يوحَّد الكلمة بالآب** The Spirit does not unite the Word to the Father.. فالابن هو فى الآب لأنه كلمته وشعاعه."[٢٣]

إذا جعلنا الآب هو المحب والابن هو المحبوب هذا يعنى أن لهما وحدهما ديناميكية الفعل، وبهذا يتحول الروح القدس إلى مجرد طاقة بينهما يتبادلها الآب والابن، فتلغى بذلك أقنومية الروح القدس.

فى مفهومنا الثالوثى الثلاثة أقانيم يتبادلون الحب مع بعضهم البعض. فالحب هو صفة للجوهر وليس هو الخاصية الأقنومية للروح القدس. الحب هو صفة الجوهر فهو فى الآب والابن والروح القدس بنفس القوة وبنفس التأثير. فكل أقنوم يحب الآخر ويبادله الحب، ولا نستثنى الروح القدس من هذه القاعدة.

تعبيرات بعض الأريوسيين عن الروح القدس

"نحن نؤمن بالروح القدس، الباراقليط، روح الحق، الموعود به من الأنبياء ومن الرب، وأرسل إلى الرسل ليعلمهم كل شىء وليعزى ويقدس ويكمل المؤمنين. والابن هو الذى منح الروح القدس للكنيسة بحسب إرادة الله. **لذلك نحن نحرم كل من يقول أن الروح القدس هو إله غير مخلوق،** ونحرم كل من يخلط بين شخص الروح القدس وشخص الابن أو يقول أنه من الآب، أو يقول إنه من الابن الذى – الروح القدس– هو به (وليس منه)، أى أرسل به إلى العالم. **ونحن نرفض الاصطلاح غير الكتابى "جوهر واحد" للآب والابن والروح القدس".**[٢٤]

وقد كتبت هذه التعاريف فى الفترة ما بين مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وبين سنة٣٦٠م. فتمكن كل من الأريوسيين **وأيضًا اليوسابيين** من شرح وجهة نظرهم باستفاضة تجاه إنكارهم للاهوت الروح القدس ضمن قوانينهم الكثيرة التى خرجوا بها للعالم بعد المجامع التى عقدوها. (من المعروف **أن يوسابيوس النيقوميدى** (أسقف نيقوميديا فى تركيا) هو أحد أقطاب الحركة الأريوسية).

الروح القدس حتى مجمع القسطنطينية ٣٨١م

أعلن القديس أثناسيوس منذ البداية رأيه فى محاولات الأريوسيين فى تشويه الإيمان بالروح القدس وذلك فى رسالته الأولى ضد الأريوسية (الفصل الثامن) فقال: "كيف يمكن أن يكون إيمانه بالروح القدس

[23] N & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Four Discourses against Arians, discourse III, chapter 25, par 24, p. 407.
[24] N. & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, De Synodis, P. 454, 464-467.

إيمانًا صحيحًا، طالما يتكلم بتجديف على الابن"[٢٥] منكرًا مساواته للآب فى الجوهر (هومو أسيون تو باترى).

إن ما قاله القديس أثناسيوس هنا يعتبر وكأنه نبوة أو بعد نظر، لأن ما قاله حدث بالفعل. فبعدما أنهى مجمع نيقية الصراع الخاص بألوهية الابن، بدأ الصراع حول ألوهية الروح القدس، فبدأ القديس أثناسيوس يحارب أيضًا ضد إنكار ألوهية الروح القدس. **وفى سنة ٣٦٠م أصدر القديس أثناسيوس أول شرح مستفيض عن شخص الروح القدس وانبثاقه من الآب.**

واجه الآباء الأرثوذكس مشكلة عدم وجود تكملة لقانون الإيمان بعد عبارة "نعم نؤمن بالروح القدس". وقد كان الآباء فى نيقية يعتبرون أن قانون الإيمان النيقاوى قد ذكر الروح القدس فى إطار إلهى، أى ذكر "آب ضابط الكل... ورب واحد يسوع المسيح... والروح القدس". ويلاحظ وضع كلمة "نؤمن" قبل كل واحد من أسماء الأقانيم الثلاثة: "نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل.. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد.. نعم نؤمن بالروح القدس.. ". فبالنسبة لأى مسيحى يسلك فى طريق الحق يشعر أن قانون الإيمان النيقاوى هو إعلان واضح عن إيمان الكنيسة بالثالوث القدوس.

لم يذكر فى قانون الإيمان أننا نؤمن بأى آخر سوى الثلاثة أقانيم، لكن لأن الصراع كان ساخنًا بخصوص لاهوت الابن لذلك شرح قانون الإيمان النيقاوى بالتفصيل ما يخص لاهوت الابن، ثم أتى مجمع القسطنطينية ليضيف الجزء الخاص بالروح القدس.

وبعد عودة القديس أثناسيوس إلى الإسكندرية من منفاه عقد مجمعًا وأصدر منشورًا مجمعيًا رسميًا سمى بطومس الأنطاكيين (لأنه أرسل إلى أنطاكية بنوع خاص) يحمل أول حكم بالإدانة تصدره الكنيسة ضد عدم الإيمان بلاهوت الروح القدس. وقد قبل الأسقف بولينوس فى أنطاكية الوثيقة بكل فرح ووقّع عليها بإمضائه. **وقد أعلن مجمع الإسكندرية فى هذه الوثيقة بكل وضوح أن الروح القدس واحد فى الجوهر مع الآب والابن** ἀδιαίρετον τῆς οὐσίας τοῦ υἱοῦ καὶ Πατρὸς (إذيرتون تيس أوسياس تو أيو كى باتروس). ولم يقل عبارة (هومو أسيون توباترى) لأن عبارة "واحد فى الجوهر" تعتبر أخف، حيث أن الوضع كان ملتهبًا بشدة نتيجة وجود أنصاف الأريوسيين فى منطقة أنطاكيا (مثل يوسابيوس النيقوميدى ويوسابيوس القيصرى اللذان تسببا فى نفى البابا أثناسيوس أربع مرات والخامسة لم تنفَّذ).

[25] N. & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St Athanasius, Eerdmans Pub. Com., Grand Rapids, Michigan, reprinted 1978, Four Discourses Against Arians, Discourse 1, chapter III, par. 8, p. 310.

وقد انبرى فى هذه الحقبة **مقدونيوس** وماراثونيوس اللذان رفضا بشدة القول بلاهوت الروح القدس، وظلا يعلِّمان أن الروح القدس مخلوق وخادم الله، ولذلك دعيا هما وجماعتهما **بمحاربى الروح القدس (بنفما توماخوس)** الذين حرمتهم الكنيسة آنئذ (*).

وقد حدث فى مدة الصراع أن أرسل مقدونيوس وأتباعه إلى البابا ليبريوس فى روما، بعثة من مجمعه الخارج على الإيمان المسيحى المسمى بمجمع لمباسكوس سنة ٣٦٥م، ونجح مقدونيوس فى إقناع البابا ليبريوس وكل أساقفة إيطاليا واكتسبهم أنصارًا له فيما يخص تعاليمه المغشوشة عن الروح القدس **مدعيًا أنه يتمسك بقوانين مجمع نيقية المقدس.**

ويذكر لنا المؤرخ الشهير هفلى Hefele وهو أسقف كاثوليكى فى ألمانيا (**) إنه لم تهدأ روما من سنة ٣٦٨ م إلى سنة ٣٨١م وهى تقيم المجامع الواحد تلو الآخر (٣٦٩م، ٣٧٤م، ٣٨٠م)، وفى هذه المجامع استعادت روما أرثوذكسيتها وقررت:

١. أن الروح القدس غير مخلوق.
٢. إنه فى كرامة واحدة وجوهر (أوسيا) واحد وقدرة واحدة مع الآب والابن.
٣. إنه أزلى عالم بكل شيء (كلى العلم)، موجود فى كل الوجود omnipresent، **متميّز بشخصه**، معبود من الكل، منبثق من الآب **فقط**، واحد مع الآب والابن فى وحدة كاملة مطلقة.

وحرمت بالتالى أريوس ومقدونيوس وإفنوميوس[٢٦] وكل من أنكر أزلية الروح القدس وإنبثاقه من الآب[٢٧].

وأعلنت روما إيمانها بعد وفاة القديس أثناسيوس بخمس سنوات وعلى هدى مقررات مجامع الإسكندرية بالثالوث القدوس، **لاهوت واحد قدرة واحدة وكرامة ومجد واحد**، وسمى هذا طومس داماسوس[٢٨] ولاقى قبولاً فى أنطاكية ووقع علية ١٤٦ أسقفاً اجتمعوا فى مدينة أنطاكية عام ٣٧٨م بحسب تحقيقات العالم والمؤرخ هفلى (***).

---

* انظر Hefele, *A History of the Councils* ,Vol II, p. 280-281

** انظر Hefele, *A History of the Councils* ,Vol II, p. 287-293

٢٦ وهو أحد تلاميذ أريوس وهو الذى وجه له القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات مقالاته الخمس اللاهوتية.

٢٧ ظلت روما تصارع ضد فكرة إنبثاق الروح القدس من الآب والابن حتى القرن الحادى عشر، حتى أن أحد باباوات روما فى القرن التاسع عمل لوحين من الفضة وعلقهما على باب كاتدرائية سانت بيتر بنص قانون الإيمان باليونانى واللاتينى بدون الإضافة (من الآب والابن). ثم بدأت هذه الهرطقة فى أسبانيا فى القرن السادس الميلادى حينما كانوا يحاربون ضد الأريوسية لإثبات أن الابن مساوى للآب. قالوا أن الابن مساوى للآب وضمن المساواه أنه يبثق الروح القدس، قد رفض باباوات روما هذا الكلام حتى القرن الثانى عشر. ثم فى عام ١٠٥٤م حرمت روما القسطنطينية لأنها رفضت قبول الإضافة، وردخ باباوات روما أمام ضغوط أباطرة ألمانيا، وبهذا انتصرت هرطقة انبثاق الروح القدس من الآب والابن فى العالم الغربى!

٢٨ داماسوس هو بابا روما فى هذه الفترة.

*** انظر Hefele, *A History of the Councils* ,Vol II, p. 291

وهذه هى الأحداث التى هيأت الجو أمام البابا تيموثاوس الأول بابا الإسكندرية وسائر الأساقفة الأرثوذكس أن يكملوا قانون الإيمان فى المجمع المسكونى الثانى المنعقد فى القسطنطينية ٣٨١م. وبذلك صار يدعى القانون: قانون الإيمان النيقاوى–القسطنطينى Nicene-Constantinople والذى ورد فيه "نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب نسجد له ونمجده مع الآب والابن...".

وفى هذا المجمع تم تأكيد حرم أريوس ومقدونيوس إلى جوار سابيليوس وأبوليناريوس. وانتصرت الأرثوذكسية انتصارها المشهور بعد الصراع الطويل الذى عاشه **القديس أثناسيوس الرسولى** ما قبل مجمع نيقية وبعده **وإلى حين أن رقد فى الرب عام ٣٧٣م.**

دور يوسابيوس القيصرى المؤرخ

لا نغفل فى سرد هذه الحقبة دور يوسابيوس القيصرى المؤرخ الشهير أسقف قيصرية (ولد ٢٦٤م– توفى٣٤٠م) الذى كان عضوًا فى جماعة النصف أريوسيين، وواحد من المتحمسين لأوريجانوس. لقد كان غير دقيق فى تعبيراته اللاهوتية، حتى أنه يمكن بسهولة وضعه ضمن المتقدمين فى الهرطقة الأريوسية. وقد كتب نفس المفاهيم التى أوردناها عن تعليم أوريجانوس بشأن الروح القدس.

كان يوسابيوس يؤمن ويعلِّم بأن الروح القدس هو ثالث فى الكرامة والمجد وفى الدرجة أيضًا أى فى الجوهر. فكان يصف الروح القدس بأنه يستقبل نوره من الكلمة، كالقمر فى فلك اللاهوت وأنه يستمد كل كيانه وصفاته من الابن. وبذلك كان يحسبه أنه ليس إلهًا ولا حتى بمستوى الابن، أى ليس غير مخلوق، وكونه لا يستمد أصله من الآب كالابن فيتحتم أن يكون واحدًا من الأشياء التى خلقت بواسطة الابن.[٢٩]

ثم يعود يوسابيوس ويستدرك هذا الشطط، لعله يعيد للروح القدس شيئًا من هيبته الإنجيلية فيقول: "وبالرغم من أنه مخلوق إلا أنه أعلى وأفضل جميع المخلوقات".. لكن أى كرامة لمخلوق!؟

كما يتبين من أقوال يوسابيوس هذا، أن انبثاق الروح القدس مرتبط فقط بإرساليته، أى كحدث زمنى. فمثلاً حينما قال السيد المسيح "«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ" (يو١٥: ٢٦). اعتبر يوسابيوس أن الروح القدس انبثق لكى يرسله الابن، أى أنه انبثق

---

٢٩ انظر

Stanley M. Burgess, the Spirit and the Church Antiquity, Hendrickson Publishers, Massachusetts, 1984, p. 103, quoting Euseb. Preparation for the Gospel vii.15,trans. Edwin H. Gifford (Oxford: Clarendon Press, 1903), 1: 324-326

فى الزمان وأُرسل، وبهذا ألغى أزليته. وليت المدافعون عن أوريجانوس يدرسون كتابات يوسابيوس القيصرى المؤرخ وهو من أكبر المدافعين عن أوريجانوس ليكتشفوا خطأ دفاعهم.[٣٠]

حاولت هنا أن أقدم عرض تاريخى عن الأحداث التى سبقت ظهور هرطقة مقدونيوس وأتباعه، والتى أدت إليها، والتداعيات التى أوصلتنا إلى مجمع القسطنطينية.

٣٠ والمدافعون عن أوريجانوس يقولون أن هناك من دس فى مخطوطات أوريجانوس بعض أقوال لم يقلها هو. فإذا افترضنا أن هذا الكلام صحيح، ماذا نقول عن أقوال تلميذه الذى أرّخ تاريخ الكنيسة كله فى تلك الحقبة، وكتب تعليمه هو الشخصى وهو صورة طبق الأصل من تعليم أوريجانوس عن الروح القدس الذى أوردناه سابقاً. لذلك من يريد أن يدرس حقيقة العقيدة أو حقيقة التاريخ لا يأخذ جزء واحد أو زاوية واحدة من الأمور بل يجب عليه أن يخوض فى كل المجالات ليرى رؤية متسعة لكى يستطيع أن يكون فكرة حقيقية عن كيف سارت الأمور. لذلك نحذِّر من قراءة كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصرى.
وعلى سبيل المثال أيضاً كان جيروم من أقوى المدافعين عن أوريجانوس، فلما قابله القديس إبيفانيوس رئيس أساقفة قبرص وشرح له تحوّل إلى أشد المهاجمين لأوريجانوس. فكون البعض كان يدافع عنه فى تاريخ الكنيسة فقد كان هذا نتيجة لجهلهم بحقيقة الأمور.

ثانيًا: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م

مقدمة

انعقد هذا المجمع فى مدينة القسطنطينية فى سنة ٣٨١م لمقاومة بدعة مقدونيوس وبدعة أبوليناريوس وبدعة سابيليوس، بدعوة من الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير (الذى يلقّب باسم الملك الأرثوذكسى).

١) بدعة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية والرد عليها

أنكر "مقدونيوس"، الذى كان بطريركًا للقسطنطينية والذى بسببه انعقد المجمع المسكونى هناك، ألوهية الروح القدس ولكنه لم ينكر ألوهية السيد المسيح. وحُكم عليه وعلى تعليمه الهرطوقى فى المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية ٣٨١م.

كان مقدونيوس قد استند إلى ما ورد فى إنجيل يوحنا فى قول السيد المسيح عن الروح القدس "لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" (يو١٦: ١٣) "ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يو١٦: ١٤). فقال مقدونيوس إن الروح القدس أقل من الابن لأنه يأخذ مما للابن (يو ١٦: ١٤، ١٥)، ولأنه لا يتكلم من نفسه (يو١٦: ١٣)، ولأنه يشهد للابن بناءً على ما قاله السيد المسيح: "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ .. فَهُوَ يَشْهَدُ لِي" (يو١٥: ٢٦). وأيضًا لأنه يُرسل من الآب ومن الابن.

يُرسَل من الآب : " وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ" (يو١٤: ٢٦).

ويُرسَل من الابن: "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ" (يو١٥: ٢٦).

لقد نسى هذا المسكين أن الابن أيضًا قال عنه الوحى الإلهى: "لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ" (يو٥: ١٩). فهذا المسكين لو قرأ هذه الآية بتمعن لما اعتبر أن عبارة أن الروح القدس "لا يتكلم من نفسه" تؤدى إلى إقلال شأن الروح القدس عن الابن. كما أن كون الابن لا يعمل من نفسه شيئًا لا تقلل الابن عن الآب. فإذا اتبعنا هذه القاعدة التى اتبعها مقدونيوس لأنكرنا ألوهية الابن أيضًا لأنه قال أنه "لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ" (يو٥: ١٩).

إن كلاً من العبارتين معناها أن أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس لا يعمل الواحد منهما منفصلاً عن الأقنومين الآخرين. فلا الابن يعمل منفصلاً عن الآب والروح القدس، ولا الروح القدس يعمل منفصلاً عن الابن والآب.

لأنه كما قال الآباء مثل **القديس اثناسيوس:** "**الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس**" (من الرسالة الأولى إلى سيرابيون فصل ٢٨ عن الروح القدس). وقد كرر القديس أثناسيوس هذا المعنى فى رسالته الثالثة إلى سيرابيون الفصل الخامس أيضًا فى مقاله عن الروح القدس، كما وردت فى مواضع أخرى من تعليمه.

ومثله قال **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** "كل عملية تأتى من الله إلى الخليقة بحسب فهمنا المتنوع لها نسميها طاقة أو قدرة أو خلاص أو هبة أو موهبة أو عطية... إلخ، لها أصلها من الآب وتأتى إلينا من خلال الابن وتكتمل فى الروح القدس."[٣١]

إن وحدانية الآب والابن التى قال عنها السيد المسيح أنه هو والآب واحد (انظر يو١٠: ٣٠) هى السبب فى أنه لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئًا، لأن قدرة واحدة هى للآب والابن والروح القدس.
وقد شرح **القديس يوحنا ذهبى الفم** خطأ تعليم مقدونيوس، فى شرح عبارة أن الروح القدس لا يتكلم من نفسه، كما يلى:
أولاً: إن الله حينما أراد أن يقيم **سبعين شيخًا لمعاونة موسى النبى** فى رعاية شعب إسرائيل قال الرب لموسى "**آخُذَ مِنَ الرُّوحِ الذِي عَلَيْكَ وَأَضَعَ عَلَيْهِمْ**" (**عدد١١: ١٧**) فهل كان الله أقل من موسى النبى.. حاشا؟! وهل الله يستدين (يستلف) من موسى الروح القدس أى مواهبه. إن السبب فى ذلك طبعًا، وبدون أى جدال ويستد كل فم، أن الله أراد أن يثبت للشيوخ السبعين أنهم يعاونون موسى ولا ينفصلون عنه، بل يعملون فى انسجام ووحدانية، لكى لا يحدث انقسام فى الجماعة.

هكذا أيضًا الروح القدس يأخذ مما للسيد المسيح ويخبرنا ليس لأنه أقل من الابن، كما إدّعى مقدونيوس، بل لكى يؤكد أن المسيح هو رأس الكنيسة. وتكون العطايا والمواهب التى تمنح لنا هى من خلال السيد المسيح، ونكون نحن أعضاء فى جسده الواحد. فالروح القدس كما أنه هو روح الآب فهو أيضًا روح الابن أو روح المسيح كما هو مكتوب.

[٣١] N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. V, Gregory of Nyssa, Eerdmans Pub. 1978, p. 334

ثانيًا: الروح القدس يأخذ مما للمسيح ويخبرنا، لأن أى إنسان يستطيع أن يدّعى أن الروح القدس يحل عليه، وأنه يأخذ وحيًا من الروح القدس. والقديس يوحنا الرسول يقول: "لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهَذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ" (١يو٤: ١-٢). ونظرًا لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم فكيف نعرف الروح القدس الحقيقى (أى روح الله) إلا إذا كان لا يتكلم من نفسه، أى أنه يشهد للمسيح ولا يشهد له فقط بل يشهد الشهادة الحقيقية، أن المسيح هو الابن المولود من الآب قبل كل الدهور. كما قال القديس يوحنا الإنجيلى فى نفس الرسالة: "وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَذَا هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (١يو٥: ٢٠) فالروح الذى يشهد لألوهية السيد المسيح ولتجسده من أجل خلاص العالم تكون شهادته هى شهادة حق.

وهنا تكمن خطورة شديدة جدًا لو تجاهلنا هذه الحقيقة. لأن إلين هوايت، النبية المزعومة للأدفنتست السبتيين غير المسيحيين، كانت تزعم أن الروح القدس هو الذى يوحى إليها بكل التعاليم الفاسدة المضادة للمسيحية الحقيقية. وأى نبى كاذب يدّعى أن الروح القدس هو الذى يعطيه الوحى فيما يقول ويكتب. كما ادّعت إلين هوايت أيضًا أن الملائكة كانت تظهر لها أحيانًا فى الثالثة فجرًا لتمليها ما تكتب، أى ليس الروح القدس مباشرةً بل عن طريق الملائكة، لكنها تدّعى أيضًا أن هؤلاء الملائكة مكلفين من الله.

من المعروف أن أنبياء كثيرين خرجوا إلى العالم وأن أى منهم قد يدّعى أن الروح القدس هو الذى يملى عليه ما قاله وما علّم به. فكيف نعرف إلا إذا كان الروح القدس الحقيقى له مواصفات.

هذه هى الأسباب التى جعلت السيد المسيح يعطى تعريفًا محددًا للروح القدس حينما قال: "ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يو١٦: ١٤، ١٥). إذن فهو لا يأخذ فقط مما للابن ويخبرنا بل ويأخذ أيضًا مما للآب ويخبرنا، لأن كل ما للآب هو للابن، لذلك أكمل السيد المسيح قوله وقال: "لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ".

ألوهية الروح القدس

أما عن ألوهية الروح القدس فكما أوردنا سابقًا من سفر أيوب "رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي" (أى ٣٣: ٤) فهو الإله الخالق. وقيل فى المزمور "أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ

أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ. فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ" (مز ١٣٩: ٧-١٠). وهذا يثبت أن الروح القدس حاضر فى كل مكان، ويثبت ألوهية الروح القدس.

كما أن القديس بطرس فى حواره مع حنانيا وسفيرة قد اعتبر أن من يكذب على الروح القدس يكذب على الله (انظر أع ٥: ٤)، لأن الروح القدس هو الله، كما أن الآب هو الله والابن هو الله من حيث الجوهر. الابن هو ابن الله من حيث الأقنوم. فإن قلنا أنه الله نقصد من حيث الجوهر وإن قلنا أنه ابن الله نقصد وضعه الأقنومى. وهكذا أيضًا الآب من حيث الجوهر هو الله ومن حيث الأقنوم هو الآب، لذلك قال معلمنا بولس الرسول عن الآب فى أكثر من موضع "اللهِ وَأَبِينَا" (أنظر غل ١: ٤، فى٤: ٢٠) فالله وأبينا هو واحد.

أقنومية الروح القدس

أما عن أقنومية الروح القدس فقد قال السيد المسيح: "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ" (يو١٥: ٢٦). معنى ذلك أن الروح القدس ليس هو الابن. وقال كذلك: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ. رُوحُ الْحَقِّ" (يو١٤: ١٦، ١٧). فكلمة "آخَرَ" هنا لا تعنى انفصاله عن الآب أو عن الابن بل تعنى أن له شخصيته الخاصة المتمايزة. **إذن الروح القدس ليس طاقةً أو قوة، كما يدّعى شهود يهوه، بل هو شخص حقيقى يتكلم ويسمع وله ضمير الملكية. فهو أقنوم إلهى واحد فى الجوهر مع الآب والابن.**

"قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرِزُوا **لِي** بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ" (أع١٣: ٢). وعبارة "أَفْرِزُوا **لِي**" تشير إلى شخصية الروح القدس أنه صاحب ضمير الملكية. وليس هذا فقط بل قال السيد المسيح "**ذَاكَ** يُمَجِّدُنِي" (يو١٦: ١٤)، وكلمة ذاك تقال عن شخص أو أقنوم وليس عن قوة أو طاقة. وقال عنه أيضًا "مَتَى جَاءَ **ذَاكَ** رُوحُ الْحَقِّ.. كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" (يو١٦: ١٣). فقال السيد المسيح عنه: "**ذَاكَ**"، وقال عنه "جَاءَ" وقال عنه "يتكلم" وقال عنه "**ما يسمع يتكلم به**" وقال عنه "**يأخذ**" وقال عنه "**يخبر**" وقال عنه "**يشهد**".

كل هذه الأشياء التى قيلت عن الروح القدس تدل على أقنوميته. فكما أن الابن له شخصيته الحقيقية التى أدركناها حينما جاء لخلاص العالم، فالروح القدس أيضًا له شخصيته الحقيقة التى أدركناها حينما جاء ليقود الكنيسة ويشهد للمسيح ويعمل فى الأسرار.

وبهذا نكون قد أثبتنا من خلال تعليم الآباء استنادًا إلى الكتب المقدسة أن الروح القدس مساوى للآب والابن فى الجوهر وأنه أقنوم حقيقى له شخصيته المتمايزة. أثبتنا ألوهيته وفساد تعليم مقدونيوس، الذى حرمه المجمع المسكونى الثانى المنعقد فى القسطنطينية عام ٣٨١م، وحضره البابا تيموثاوس الأول بابا الإسكندرية (٢٢). وعُزل مقدونيوس من رتبته كبطريرك للقسطنطينية.

وقد حُرم مقدونيوس هو وهرطقته من فم الكنيسة الجامعة، لذلك فى صلاة التحليل فى القداس الإلهى نأخذ الحل من فم المائة والخمسين المجتمعين فى القسطنطينية على أساس رفضنا لتعليم كل من مقدونيوس وأبوليناريوس وسابيليوس الذين حرمهم الآباء المجتمعين فى هذا المجمع.

٢) بدعة أبوليناريوس والرد عليها

العجيب أن أبوليناريوس مع أنه قد علّم بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح، عكس عقيدة نسطور الذى فصل المسيح إلى طبيعتين منفصلتين، ولكن العجيب أنه بالرغم من أن كلاً منهما (نسطور وأبوليناريوس) قد وصل إلى عقيدة ضد عقيدة الآخر تمامًا إلا أن السبب فى هرطقة أبوليناريوس هو أحد أسباب هرطقة نسطور، أو ربما يكون السبب الرئيسى. بمعنى أنهما قد سقطا فى خطأ واحد. وقد حاول كل منهما أن يعالج إحدى الهرطقات أو المعضلات العقائدية، فوقع فى هرطقة ضد هرطقة الآخر.

كان الخطأ الذى وقع فيه كل من نسطور وأبوليناريوس إنهما اعتقدا أن الروح الإنسانى العاقل فى المسيح لابد أن يكون شخصًا إنسانيًا، وإلا كيف يُنسب إلى هذا الروح الإنسانى العاقل الفكر وحرية الإرادة.. الخ. فأراد أبوليناريوس أن يعالج هذه المشكلة التى أوقع فيها نفسه، بأن يلغى وجود الروح الإنسانى العاقل فى المسيح، لكى لا يكون فى المسيح شخص إلهى وشخص آخر إنسانى. فراودته فكرة منظومة التكوين الثلاثى Trichotomy للإنسان فقال كما أن الإنسان مكوّن من جسد ونفس وروح عاقل، كذلك فإن الله الكلمة المتجسد يكون مكونًا من جسد ونفس وروح عاقل: هو أقنوم الكلمة أى لاهوته.

فبحسب فكر أبوليناريوس: حيث أن الله روح واللوغوس هو العقل الإلهى منطوق به فلا شك أن هذا الروح الإلهى الذى هو الله الكلمة يتصف بصفة العقل، وحيث أن الله روح ويتصف بالعقل فما الداعى لوجود روح عاقل للمسيح؟ وبهذا **جعل لاهوت الابن الكلمة عوضًا عن الروح الإنسانى العاقل فى المسيح.** وكان هدفه حل مشكلة وجود شخصين للكلمة المتجسد. الشخص الأول هو: شخص أقنوم الكلمة، والشخص الثانى هو: الروح الانسانى العاقل ليسوع، حسب تصوره للفكرة، وكان تصوره خاطئًا. وتصور هو بذلك إنه قد تحاشى فكرة وجود شخصين فى المسيح. لأن ذلك فى نظره يجعل الفادى المخلص ليس هو الله ولكن هو شخص الإنسان يسوع الناصرى.

بالرغم من أننا نتفق مع أبوليناريوس فى رفض فكرة شخصين فى المسيح، إذ نعتقد أن المخلص هو يسوع وهو هو نفسه الله الكلمة. أى أن الله الكلمة هو نفسه صار إنسانًا وخلصنا بموته المحيى. إلا **أننا لا نتفق مع أبوليناريوس فى إلغائه لعقيدة وجود روح إنسانى عاقل للمسيح، وبالتالى إلغائه لكمال ناسوته.**

ولقد أكّد الآباء القديسون على وجود شخص واحد للمسيح هو شخص الله الكلمة. فقال القديس أثناسيوس الرسولى "**لقد جاء كلمة الله فى شخصه الخاص**"[٣٢]
The Word of God (Logos) came in His own person. كما قال القديس كيرلس الكبير: إن الله الكلمة لم يتخذ شخصًا من البشر بل هو نفسه اتخذ طبيعة بشرية كاملة **جسدًا محييًا بروح عاقل، وجعل هذا الناسوت خاصًا به جدًا** [٣٣] أى جعله فى اتحاد طبيعى مع لاهوته.

وبالرغم من إننا سوف ندرس فى دراستنا لمجمع أفسس هرطقة نسطور ورد القديس كيرلس عليها، إلا إننا لن ندع الفرصة تفوت الآن لكى نوضّح كيف وقع نسطور فى هرطقته منطلقًا من نفس الخطأ الذى وقع فيه أبوليناريوس.

الخطأ المشترك الذى وقع فيه نسطور مع أبوليناريوس

الخطأ المشترك لنسطور مع أبوليناريوس هو أن نسطور اعتبر أن الروح الإنسانى للمسيح هو شخص إنسانى. على اعتبار أنه أكّد أن الطبيعة البشرية للمسيح لا يمكن أن يتم بها فداء البشرية إلا إذا كانت طبيعة بشرية كاملة. أى أن إنسانية المسيح لا يمكن إطلاقًا أن تتكون من جسد فقط ذا نفسٍ حية بدون الروح العاقل الذى يميّز الإنسان عن الحيوان، وإلا كيف يخلّص المسيح أرواح البشر من الهلاك الأبدى.
لأنه كما قال القديس غريغوريوس: "**مالم يتخذ لا يخلص**"[٣٤] أى ما لم يتخذه الله الكلمة فى تجسده ويوّحده مع لاهوته لا يمكن أن ينال الخلاص. فإذا اتخذ جسدًا فإنه يخلّص الجسد. وإذا اتخذ روحًا فإنه يخلّص الروح. وإن اتخذ جسدًا متحدًا بروح إنسانية، فإنه يخلّص أجساد البشر وأرواحهم. فإنه باختصار ينبغى أن يتخذ الله الكلمة فى تجسده طبيعة بشرية كاملة لا ينقصها جسد ولا ينقصها روح.

ونحن لا نختلف مع نسطور فى إصراره على وجود الروح الإنسانى العاقل فى المسيح. ولكننا نختلف معه فى أنه اعتبر أن الروح الإنسانى العاقل فى المسيح لابد أن يكون شخص بشرى مختلف عن شخص الله الكلمة.

---

[32] P. Schaff & H. Wace, Nicene & Post Nicene Fathers, series 2, Vol. IV St. Athanasius, On the Incarnation, chap. III, par.13, Eerdmans Pub, 1978 p.43.
[33] *The Fathers of the Church, St. Cyril of Alexandria, Letters* (1987) - translated by John I. McEnerney, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., Volumes 76, Letter 50, To Valerain of Iconium, par.3. p. 213.
[34] P. Schaff & H. Wace, Nicene & Post Nicene Fathers, series 2, vol. VII, St Gregory of Nazianza, Ep. To Cledonius the Priest Against Apollinarius, Eerdmans Oct. 1987, p.440.

وإلى جوار أن **نسطور** قد اعتبر أن الله الكلمة قد اتخذ شخصًا من البشر، فإنه **لم يقبل فكرة الاتحاد بين الطبيعتين** بل قال أن الله الكلمة قد سكن فى الإنسان يسوع. وأن العلاقة بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية هى علاقة اتصال خارجى conjunction وباليونانية συνάφεια، وليست اتحادًا union وباليونانية ἕνωσις. ويعتبر إن الاتحاد الحادث هو اتحاد خارجى لأشخاص فى الصورة والكرامة والسلطة، وليس اتحادًا للطبائع. واعتبر أن اللاهوت منزه عن الاتحاد بالناسوت وأنه أيضًا منزه عن الاتصال بالجسد.

ولكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد فى هرطقة نسطور؛ لأنه أراد أن يرد على أكثر من بدعة فى تعليمه بطريقة عقلانية خالية من ومضة الإنارة الروحية. فنظرًا لأن الأريوسيين كانوا فى صراع عنيف مع الأرثوذكس فى نواحى القسطنطينية، فقد حاربهم نسطوريوس بطريرك القسطنطينية، الذى جاء من أنطاكية وكان قسيسًا وواعظًا بها، ففى صراعه ضد الأريوسيين سقط فى هرطقته ووسّع فيها.

كان الأريوسيون يقولون: كيف يموت الله؟! أى إذا كان المسيح هو الله فكيف يموت؟! وحاول نسطور أن يعمل عملاً بطوليًا للدفاع عن ألوهية أقنوم الكلمة، أى الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسى فى مساواة الابن للآب، ففى غروره وفى اعتقاده أنه سوف يصير بطلاً من أبطال الأرثوذكسية فى الدفاع عن ألوهية الابن الوحيد، قال ردًا على الأريوسيين: لم يمت الله الكلمة على الصليب بل مات الإنسان يسوع، وبذلك رفض أن يكون يسوع هو إله حقيقى. كما قال لم يولد الله الكلمة من العذراء مريم، بل وُلد الإنسان يسوع، وبذلك رفض تسمية العذراء والدة الإله. وكان يرد بهذا على الأريوسيين الذين قالوا: كيف يولد الله من امرأة ؟! ألا يعتبر ذلك تجديفًا على الله؟!

ففى حماسته للدفاع عن مساواة الابن للآب ابتدع هذه الفكرة مقتفيًا آثار وخطوات معلمه ثيئودور الموبسويستى Theodore of Mopsuestia ومعلم معلمه ديودور الطرسوسى Diodore of Tarsus. وقال إن كل كائن يلد كائنًا من طبيعته، فالآب يلد الابن وبهذا يكون الابن الكلمة إله حق من إله حق. والعذراء تلد الإنسان يسوع وبذلك يكون يسوع هو ابن الإنسان. وبهذا فقد رفض أن يدعو العذراء مريم والدة الإله. وحارب بكل قوته ضد لقب الثيئوطوكوس Theotokos (God bearer).

واعتقد نسطور إنه قد تخلّص من هجوم الأريوسيين حينما قال إن ابن الله الوحيد الإله الحقيقى لم يمت على الصليب ولم يولد من العذراء مريم، ولكنه سكن فقط فى الطفل الذى تكوّن بالروح القدس فى أحشائها؛ سكن فى الجنين منذ اللحظة الأولى لتكوينه، ورافقه من البطن وقواه فى آلامه وأقامه من

الأموات. واعتبر نسطور أن الله منزه عن الاتحاد بالمادة، وأن اللاهوت لم يتحد اتحادًا طبيعيًا ولا أقنوميًا بالناسوت. وأن الاتحاد هو فى الكرامة والإرادة والسلطة فقط اتحادًا خارجيًا بين شخصين. وقال: أنا أفصل بين الطبيعتين ولكنى أوحّد العبادة. فمن أجل كرامة الإله الحال فى الإنسان، يعبد الإنسان مع الإله. وبهذا سقط فى الشرك الواضح الذى جعل المسيحية تبدو وكأنها عقيدة منحرفة. لأن المسيحية بالصورة التى علّم بها نسطور تجعل من يسوع وكأنه إنسان وقد صار معبودًا مساويًا لله فى المجد والكرامة. وبعد أن جعلته فى مصاف الأنبياء الصالحين، بمعنى إنه إنسان يسكن فيه الله وليس هو نفسه الله الظاهر فى الجسد، عادت فساوت كرامته ومجده وسلطانه بكرامة ومجد وسلطان الله ذاته. أليس هذا تأليهًا للإنسان؟!! وبسبب نسطور عانت المسيحية على مر العصور.

الإيمان السليم

أما الايمان الحقيقى فقد عبّر عنه معلمنا بولس الرسول بقوله: "**يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ**" (عب١٣: ٨). والإيمان الحقيقى يفهم أن الفادى هو الله الكلمة المتجسد والذى هو وحده القادر أن يكفِّر عن خطايا جميع البشر فى جميع العصور، الذين يؤمنون بذبيحته الخلاصية على الصليب، ويصيرون أعضاءً فى كنيسته المقدسة. و**أن إنسانًا عاديًا لا يستطيع أن يكفِّر عن خطايا البشر حتى ولو سكن فيه الله الكلمة.**

فالمولود من الآب قبل كل الدهور قد أتى وحل فى الحشا البتول غير الدنس وتجسد من مريم العذراء بواسطة الروح القدس وصار إنسانًا. بمعنى أن الله قد ظهر فى الجسد أو أن الإله قد تأنس "عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**" (١تى٣: ١٦). **فنحن نؤمن أن الإله قد تأنس وليس أن إنسانًا قد تأله**، وصار إلهًا أو صار مساويًا لله فى الكرامة.

والإله المتأنس حينما مات على الصليب، لم يمت بحسب لاهوته بل مات بحسب الجسد، كما نصلى ونقول "يا من **ذاق الموت بالجسد**" (قطع صلاة الساعة التاسعة). أما عن ولادته فنقول: "أشرق جسديًا من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا" (ثيئوطوكية يوم الاثنين). وبهذا نرى أن الكنيسة تتغنى بالعقيدة الأرثوذكسية وترددها فى تسابيحها فى شتى الصور مثلما نقول فى الثيئوطوكيات: "لم يزل إلهًا، أتى وصار ابن بشر، لكنه هو الإله الحقيقى، أتى وخلّصنا" (ثيئوطوكية يوم الخميس).

ولا يتسع الوقت لسرد كل ما ورد فى التسبحة وصلوات الكنيسة وقدّاساتها وصلواتها من العقائد الراسخة التى تعيش فى فكر الأجيال خارج معاهد اللاهوت وليس داخلها فقط. فالتسبحة هى كلية إكليريكية ومعهد لاهوت لا تدرّس كمادة تمتحن بل تعيش فى فكر وقلب كل مسيحى أرثوذكسى.

ومعلومًا طبعًا أن الشهيد مثلاً حينما يُقتَل فإن جسده هو الذى يقتل وليس روحه. كما قال السيد المسيح: "وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا" (مت١٠: ٢٨). فمن باب أولى حينما صلب السيد المسيح، فالذى مات على الصليب ليس هو لاهوته، وليس هو روحه الإنسانى، بل الذى مات على الصليب هو جسده، أما روحه الإنسانى فلم يمت. لذلك قال بطرس الرسول عن السيد المسيح "مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ. الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ" (١بط٣: ١٨، ١٩). ولذلك نصلى فى القداس ونقول {نزل إلى الجحيم من قبل الصليب}. أى أن روحه الذى سلمه فى يدى الآب حينما قال "فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي" (لو ٢٣: ٤٦) قد ذهب متحدًا باللاهوت ليحرر الذين فى السجن بعد أن يكرز لهم بإتمام الفداء، وجسده المتحد باللاهوت قد وُضع فى القبر ولم ير فسادًا. وعندما عاد روحه واتحد مع جسده قام من الأموات فى اليوم الثالث بقوة لاهوته.

فما الداعى لهذا التهور النسطورى فى إنكار أن الله هو المخلص؟! بينما قال الرب فى سفر اشعياء "أَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ.. قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلَهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. أَنَا أَنَا الرَّبُّ **وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ**. أَنَا أَخْبَرْتُ وَخَلَّصْتُ وَأَعْلَمْتُ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ غَرِيبٌ. وَأَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ **وَأَنَا اللَّهُ**" (اش٤٣: ١٠-١٢). ألم يكن هذا ما قاله السيد المسيح لتلاميذه بعد قيامته: " وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (أع١: ٨). لهذا قال الله المخلص فى سفر أشعياء: "أَنْتُمْ شُهُودِي" (أش٤٣: ١٠، ١٢).

"قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلَهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. أَنَا أَنَا الرَّبُّ **وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ**.. أَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ **وَأَنَا اللَّهُ**" (اش٤٣: ١٠-١٣). من هو المتكلم هنا أليس هو الرب؟ أليس هو المخلّص؟ ألليس هو الإله الوحيد الذى قال عن نفسه: "أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ. وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤ١: ١٧، ١٨). وقال أيضًا: "أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (رؤ١: ١١، قارن أش٤٣: ١٠-١٢). "وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لِأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ. أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ" (رؤ٢٢: ١٢، ١٣). أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (رؤ١: ٨). هذا الكلام كله عن الإله الحقيقى الرب المخلص ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ابن الله الحى الذى له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

إن السيد المسيح قد وُلد من العذراء بحسب الجسد، ولم يتخذ لاهوته منها، ولكنه "هُوَ هُوَ أَمْسًا (أى قبل كل الدهور) وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب١٣: ٨). هو هو الذى ولد من الآب بحسب لاهوته قبل كل الدهور. هو هو نفسه الذى تجسد وولد من العذراء بحسب ناسوته فى ملء الزمان. ولذلك هو هو الذى قال عن نفسه لليهود "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ**" (يو٨: ٥٨). فكيف يُقال عن السيد المسيح إنه من شخصين. ومن هو هذا الذى يقول عن نفسه "**أنا**" هل هو الشخص الأول؟ أم الشخص الثانى؟!

إنه من المستحيلات أن يتحد شخصان لتكوين شخص واحد. لأن الشخص هو من يتجه نحو الآخر، أى يشخص نحوه. فحينما يحب رجل زوجته، هما شخصان يصيران جسدًا واحدًا باتحادهما فى سر الزيجة المقدس. وهو يتجه نحوها بالحب المقدس. ولكنه لا يستطيع أن يقول لها أنا بحبنى، بل يقول لها أنا أحبك. لأن مفهوم الحب ليس هو الأنانية، أى الاتجاه نحو "الأنا"، بل الانطلاق نحو "الآخر".

هل توجد وحدة فى الوجود كله أقوى من وحدة الأقانيم الثلاثة فى الجوهر الإلهى الواحد؟ ومع ذلك فإن الكنيسة تحرم من يقول أن هذه الوحدة تؤدى إلى امتزاج الأقانيم الثلاثة فى أقنوم واحد، أو أن شخص الآب هو شخص الابن هو شخص الروح القدس، لأن هذه هى: **هرطقة سابيليوس**.

فكيف يدَّعى هذا المبتدع الخطير (نسطور) أن المسيح فى شخصين: شخص إلهى، وشخص بشرى، وقد كوّنا معًا بالاتحاد البروسوبونى prosopic union (أى الاتحاد الشخصانى) شخص الاتحاد الواحد الذى اخترعه ديودور وثيئودور ونسطور.

ديودور الطرسوسى، وثيئودور المبسويستى، ونسطور بطريرك القسطنطينية، اعتقدوا وعلّموا بما يسمى اتحاد الأشخاص prosopic union لتكوين ما يسمى بشخص الاتحاد prosopon of union ورفضوا الاتحاد الطبيعى natural union والاتحاد الأقنومى hypostatic union.

أبوليناريوس والكلمة- الجسد

ونعود إلى أبوليناريوس الذى علّم بفكرة (Logos-Sarx الكلمة-الجسد λογος-σαρξ) **وحاول أن يفسّر الاتحاد بين اللاهوت والناسوت بأن اللاهوت أخذ مكان الروح الإنسانى فى المسيح، وبهذا صار الاتحاد بين اللاهوت والناسوت هو بدلاً من الاتحاد بين الروح الإنسانى والجسد فى الإنسان**

العادى. وبهذا قال: "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة" مثلما قالها القديس أثناسيوس والقديس كيرلس، ولكن مع فارق كبير، وهو إنه ألغى وجود الروح الإنسانى فى المسيح.

وليس صحيحًا ما يُقال أن القديس أثناسيوس قد اقتبس تعليمه فى هذا المجال من أبوليناريوس، أو أن القديس كيرلس قد اعتقد بطريق الخطأ أن القديس أثناسيوس قد استخدم هذا التعبير فى تعاليمه.

الرد على الخطأ الذى وقع فيه أبوليناريوس وأيضًا نسطور

لكى نوضح الرد على الخطأ الذى وقع فيه أبوليناريوس وأيضًا نسطور نقول: إن العقل هو من صفات الطبيعة وليس بالضرورة شخصًا، بل إن الشخص هو مالك الطبيعة والعامل بمقوماتها. فإذا ملك الشخص طبيعة عاقلة فإنه يكون شخصًا عاقلاً. وليس ذلك فقط، بل إنه إذا ملك الطبيعة العاقلة البشرية فإنه يكون حاملاً لمقومات العقل البشرى، وإذا ملك الطبيعة العاقلة الملائكية فإنه يكون حاملاً لمقومات العقل الملائكى: مثل الملاك ميخائيل والملاك جبرائيل. وليس العقل البشرى مساويًا للعقل الملائكى، وإلا لما أمكن لملاك واحد أن يقتل ١٨٥ ألف جندى من جيش سنحاريب ملك أشور فى ليلة واحدة.

إبليس يحفظ الكتاب المقدس عن ظهر قلب لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ" (أف ٦: ١٢) فالملائكة لهم قدرات عقلية فائقة عن قدرة البشر. ولولا مساندة الروح القدس لنا لما استطاع عقلنا أن يقف أمام حيل إبليس.

أما عن العقل الإلهى وصفاته فإنه يتصف بمعرفة كل شيء عن كل شيء (اللامحدودية)، ومعرفة كل شيء فى آنٍ واحد: الماضى والحاضر والمستقبل، ولسنا بحاجة أن نتكلم عن لامحدودية قوة العقل الإلهى.

الطبيعة والشخص

نعطى مثلاً عن الطبيعة والشخص الذى يحملها: إذا ملأنا كوبًا فارغًا بالماء، فإننا نسميه كوب ماء، وإذا ملأناه بالزيت فإننا نسميه كوب زيت. فإذا حمل شخص الطبيعة البشرية، نسميه إنسانًا، وإذا حمل نفس الشخص الطبيعة الملائكية نسميه ملاكًا، وإذا حمل نفس الشخص الطبيعة الإلهية، نسميه إلهًا. فالشخص يلقب وينسب إلى الطبيعة التى يحملها. وهو يعمل بمقتضى قدرات هذه الطبيعة. أى إنه

إذا ملك الطبيعة الإنسانية، فإنه يملك مقوماتها. وإذا حمل الطبيعة الإلهية فإنه يملك مقوماتها. وإذا حمل نفس الشخص الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية، أى إذا اتحدت فيه الطبيعتان، فإنه يملك مقومات الطبيعتين فى آنٍ واحد.

وحينما اتحد اللاهوت بالناسوت فى السيد المسيح فى شخصه الواحد one single person **اتحادًا حقيقيًا تامًا كاملاً بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال ولا تقسيم، فإن شخص السيد المسيح صار يملك خصائص ومقومات وقدرات الطبيعتين فى طبيعته الواحدة المركبة**، فصار يملك أن يجوع بحسب إنسانيته، وألا يجوع بحسب ألوهيته فى آنٍ واحد. وأن يتألم بحسب إنسانيته وأن لا يتألم بحسب ألوهيته فى آنٍ واحد.

ولكى يؤكّد السيد المسيح وحدة الشخص فيه قال لنيقوديموس: "لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يو٣: ١٣). فكيف يقول السيد المسيح لنيقوديموس وهو جالس أمامه، أن ابن الإنسان هو فى السماء. إن هذا لا يمكن أن يفهم إلا إذا كان ابن الإنسان هو نفسه ابن الله المالئ الوجود كله بحسب لاهوته. فهو أمام نيقوديموس بحسب الجسد وهو فى حضن الآب كل حين بحسب لاهوته. "وحيد الجنس (بالولادة) الإله الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو١: ١٨). **هو ابن الإنسان وهو ابن الله فى آنٍ واحد**. فليس ابن الله شخص آخر غير ابن الإنسان. ولكنه بحسب الجسد هو على الأرض، أما بحسب لاهوته فهو مالئ الوجود كله، لذلك قال لنيقوديموس: "الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" وذلك عن ابن الإنسان أى عن نفسه.

وحينما تكلم مع اليهود وقال لهم: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ**" (يو٨: ٥٨). كان ذلك ردًا على تعجبهم من إنه قال لهم: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يو٨: ٥٦). فقالوا له: "لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟" (يو٨: ٥٧). إذن كانوا يتكلمون عن السيد المسيح الواقف أمامهم، أى عن ابن الإنسان، ولكنه أكّد إنه هو نفسه الذى يكلّمهم وبنفس فمه الذى نطق بهذه الكلمات قال عن نفسه "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن". فهو شخص واحد كائن بحسب لاهوته قبل أن يكون إبراهيم ، وليس له خمسون سنة بعد بحسب ناسوته. فهو يملك الأزلية بولادته من الآب قبل كل الدهور، وقد دخل إلى الزمان بولادته من العذراء فى ملء الزمان. كما قال معلمنا بولس الرسول: "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غل٤: ٤، ٥).

فمن ضمن صفات الطبيعة ما يلى:

- ✞ طبيعة حية (مثل النبات والحيوان والإنسان)، أو طبيعة غير حية (مثل الجماد).
- ✞ طبيعة قابلة للموت أو غير قابلة للموت.
- ✞ طبيعة عاقلة أو غير عاقلة.
- ✞ طبيعة لها صفة التغيير أو عدم التغيير.
- ✞ طبيعة لها صفة المحدودية أو اللامحدودية.
- ✞ طبيعة لها صفة القداسة أو عدم القداسة.
- ✞ طبيعة زمنية أو غير زمنية.
- ✞ طبيعة لها صفة الحب أو الكراهية.
- ✞ طبيعة لها صفة الحكمة أو عدم الحكمة.
- ✞ طبيعة لها صفة القوة أو الضعف، الشجاعة أو الجبن.
- ✞ طبيعة لها صفة الكبرياء أو التواضع (فى مقارنة طبائع الملائكة).

فكما أن القوة صفة من صفات الطبيعة، هكذا العقل صفة من صفات الطبيعة. هكذا أيضًا الحياة صفة من صفات الطبيعة لأن هناك مخلوقات حية مثل النبات والحيوان والإنسان فى الطبيعة، كما أن هناك أشياء غير حية مثل الجماد. هكذا هناك طبيعة متغيرة وطبيعة غير متغيرة، فالله بطبيعته غير متغير والذهب إلى حد ما يعتبر غير متغير لذلك استخدم فى الإشارة إلى اللاهوت فى تابوت العهد مثلاً.

الخلاصة فى هذا الأمر: أن العقل هو صفة من صفات الطبيعة. وبذلك حينما اتخذ السيد المسيح روحًا بشريًا عاقلاً، حينما أخذ ناسوته الكامل أى الجسد والروح من العذراء مريم بفعل الروح القدس، فإن هذا الروح العاقل قد وجد شخصه فى ابن الله المتجسد. أى أن ابن الله قد أعطى شخصه الخاص للطبيعة البشرية التى اتخذها، أى إنها وجدت شخصها فيه وهو ما نعبّر عنه أحيانًا بأنها تشخصنت فى شخص الله الكلمة.

فإجابة السؤال المطروح وهو: كيف يكون السيد المسيح إنسانًا دون أن يأخذ شخصًا بشريًا؟ هو **إنه صار إنسانًا لأن شخصه الخاص قد اتخذ الطبيعة البشرية الخاصة به وجعلها طبيعته الخاصة. فشخص ابن الله الحامل للطبيعة البشرية هو إنسان، لأنها ليست طبيعة بلا شخص، وقد وجدت الطبيعة البشرية شخصها فيه كمالِك وحامل لهذه الطبيعة.**

فالسيد المسيح ليس مجرد إنسان عادى، بل هو نفسه بشخصه الإلهى المولود من الآب قبل كل الدهور قد "**أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ**، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى٢: ٧، ٨).

شرح موضوع الإرادة الخاصة بالسيد المسيح

ونظرًا لأن الحب بين الآب والابن هو حب مقترن بحرية كل أقنوم، فإن حرية الخليقة العاقلة هى نابعة من حرية الأقانيم الإلهية (لأن الكائن العاقل مخلوق على صورة الله فى الحرية). بمعنى أن الله قد أعطى للخليقة العاقلة حرية الفكر والإرادة، وذلك لأن هذا هو فى واقع العلاقة بين أقانيم الثالوث.
الابن يبادل الآب المحبة فى حرية كاملة، لأن الحب إذا فقد الحرية فقد جوهره ومعناه. فإذا كان "الله محبة"، فالحب فى الله يمارس بحرية تامة منذ الأزل بين الأقانيم الثلاثة. ولكن وحدانية الجوهر الإلهى وكمال الحب المطلق تعنى أن الأقانيم وإن كان لهم ثلاث إرادات من حيث العدد، إلا أن لهم إرادة واحدة من حيث النوع.

هذه الحرية الأقنومية لشخص الابن الوحيد التى شرحنا عنها؛ لم يفقدها حينما تجسد وصار إنسانًا. فكما إنه تجسد بحريته واختياره، هكذا صام بحريته واختياره. وهو بحسب الطبيعة الإنسانية كان يشعر بالجوع بالجسد. هو أخلى نفسه باعتباره الابن الوحيد الجنس الذى قَبِلَ أن يتجسد، وتألم بحرية اختيارية، إذ قال: "أَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ" (يو١٠: ١٥). وعن مفارقة نفسه العاقلة لجسده عند موته على الصليب، وعن عودتها إلى جسده عند قيامته من الأموات بسلطانه الإلهى قال: " لِهَذَا يُحِبُّنِي الآبُ لأَنِّي **أَضَعُ نَفْسِي** لِآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا **وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا**. هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي" (يو١٠: ١٧-١٨). وقال معلمنا بولس الرسول عن طاعة الابن المتجسد لأبيه السماوى: "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب٥: ٨). أى أنه لا يمكن أن يتألم من حيث اللاهوت، أما من جهة الجسد فهو يتألم. كما **قال القديس أثناسيوس الرسولى: "يا للعجب فإن كلمة الله (بالتجسد) قد صار غير متألّم ومتألّم فى آنٍ واحد."** [٣٥]

بهذا نفهم معنى طاعة الابن المتجسد لأبيه السماوى. فهو من جهة بنوته الأزلية للآب لا توجد علاقة طاعة لأن الابن والآب متساويين فى المجد والكرامة وكل ما يفعله الآب يفعله الابن كذلك. ولكن من

[35] P. Schaff & H. Wace, Nicene & Post Nicene Fathers, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub, 1978, St. Athanasius, Letter to Epictetus, par 6, p. 572.

جهة تجسده قد مارس الطاعة من خلال احتماله الآلام. فمع كونه ابنًا من حيث لاهوته، قد مارس الطاعة من حيث ناسوته. وكل ذلك بشخصه الواحد الوحيد الذى وحّد بين لاهوته وناسوته فى طبيعة واحدة تجمع خصائص ومقومات الطبيعتين. كما نقول فى القداس الغريغورى: {باركت طبيعتى فيك. أكملت ناموسك عنى}. أى أن **الابن المتجسد قد طوّع طبيعتنا البشرية للآب السماوى فى شخصه بحرية تامة.**

وبنفس الحرية التى تجسد بمقتضاها حبًا فى خلاصنا، هكذا بنفس الحرية أطاع الآب وشرب كأس الآلام عوضًا عنّا: {لأنه بإرادته ومسرة أبيه والروح القدس أتى وخلّصنا} (ثيئوطوكية الثلاثاء). وهنا تظهر فكرة الحرية فى اتخاذ القرار من حيث إنسانية السيد المسيح: إنه إنسانيًا قد أطاع الآب السماوى، لأن شخصه الحر قد طوع الإنسانية التى اتخذها لمشيئة أبيه السماوى، التى هى نفسها مشيئته هو والروح القدس.
هذا لا يعنى أن السيد المسيح كانت له إرادتين كأنه شخصين!! ولكنه قد طوّع الإرادة الطبيعية natural will **التى فى طبيعته الإنسانية للإرادة الطبيعية** natural will **التى فى طبيعته الإلهية، وقد وحّدهما فى طبيعته الواحدة المتجسدة بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال ولا تقسيم. أما إرادته الشخصية** personal will **فكانت إرادة واحدة وحيدة لشخصه الواحد الوحيد.**

هناك فرق بين الإرادة الطبيعية والإرادة الشخصية، فالإرادة الطبيعية هى مثل الرغبة فى الأكل للجائع والرغبة فى الشرب للعطشان. وبهذا نفهم معنى الإرادة الطبيعية، أى نداء الطبيعة أو الرغبة desire. أما الإرادة الشخصية فهى اتخاذ قرار الأكل أو قرار الشرب decision. فمن كان جائعًا واستمر فى الصوم، يكون قد أخضع رغبته الطبيعية إلى إرادته الشخصية، أو أخضع الرغبة للقرار.

ولأن السيد المسيح كان شخصًا واحدًا وحيدًا (غير مركب من شخصين)، كانت له إرادة شخصية واحدة هى التى بمقتضاها تجسد متأنسًا وصنع الفداء. أما إرادته الطبيعية الإلهية فقد اتحدت بإرادته الطبيعية البشرية (أى الرغبات الإلهية والرغبات البشرية) اتحادًا كاملاً مثل اتحاد الطبيعتين بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال ولا تقسيم. فإن اللاهوت لم يمنع العطش عن الناسوت، ولكن السيد المسيح صنع مشيئة الآب وصام الأربعين يومًا من أجلنا. واللاهوت لم يمنع الألم عن الناسوت، ولكن السيد المسيح صنع مشيئة الآب واحتمل الآلام من أجلنا، وأطاع الآب حتى الموت؛ موت الصليب.

وهنا ينبغى التمييز بين الرغبة واتخاذ القرار حينما نتكلم عن الإرادة. **فالإرادة الطبيعية تعنى الرغبة، والإرادة الشخصية تعنى القرار.** وهكذا يمكننا أن نفسر قول السيد المسيح فى ترجمة الأصل اليونانى

"لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ (وأنا)" (انظر مت ٢٦: ٣٩). أى ليس كما أرغب أنا بحسب رغباتى الطبيعية الإنسانية، بل كما تريد أنت وأنا بحسب الرغبة الشخصية الإلهية وبحسب التدبير الإلهى. وهذا هو قرارنا فى إتمام الفداء أنا وأنت والروح القدس، وهى أيضًا قرارى الشخصى أن يتم الفداء على الصليب. لهذا قال معلمنا بولس الرسول عن إتمام السيد المسيح للفداء "من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهينًا بالخزى" (عب ١٢: ٢). كيف يقول ذلك وهو الذى قال للآب: "إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ" (مت٢٦: ٣٩) هذا هو الفرق بين الرغبات الطبيعية وبين الإرادة الشخصية. بإرادته الشخصية قرر أن يصنع الفداء، أما فيما يخص الرغبة الطبيعية، فمن يرغب فى الإهانة وخيانة يهوذا وغيرها حتى إنه قال: "نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ" (مت٢٦: ٣٨).

تأتى البلبلة من التفسيرات الخاطئة للإنجيل. ليس كما أرغب أنا بل كما تريد أنت وأنا. بمعنى ليس كما أرغب بحسب إنسانيتى بل كما نريد معًا بحسب التدبير الثالوثى للخلاص. ليس معنى هذا أن للسيد المسيح إرادتين لأن المقصود هنا ليس الإرادة الشخصية لكن المقصود هو نداء الطبيعة فقط. كما قيل "جَاعَ أَخِيرًا" (مت٤: ٢) هل حينما جاع أخيرًا صيّر الحجارة خبزًا وأكل؟ لا، إذن نداء الطبيعة هو الرغبة فى الأكل لكنه استمر فى الصوم.

لذلك حينما نقول فى القداس الغريغورى: {باركت طبيعتى فيك، أكملت ناموسك عنى} يكون المقصود هو أنه طوّع بشريتنا لمشيئة الآب السماوى. فإذا كان آدم قد عصى الله حتى الموت فإن المسيح قد أطاع الآب حتى الموت حسب الجسد ومحا العار. وهذا هو ملخص قضية الفداء. كان لابد أن يأتى آدم الثانى ليقدّم طاعة كاملة للآب السماوى.

مشكلة نسطور أنه قال كيف أن شخص إنسان ينوب عن البشرية، وله حرية الإرادة ويقدم طاعة للآب كإنسان ولا يكون قد اتخذ شخصًا إنسانيًا، فيقول من الذى يطيع؟ وهذه هى مشكلته. والرد عليها هو أن **الابن أعطى شخصه الحر لطبيعتنا البشرية التى اتخذها من العذراء** فصار هناك كائن اسمه آدم الثانى يملك حرية الإرادة ويملك طبيعتنا ولكنه فى نفس الوقت هو بلا خطية. **فحينما قدّم طاعة طبيعتنا من خلال شخصه، دخلت طبيعتنا فى حيِّز الرضى لله.**

لكن هل كشخص كان حرًا أم لا؟ كان حرًا حتى حينما تجسد فهو لم يتجسد رغمًا عنه، كما لم يفقد حريته بالتجسد. وبمقتضى مقومات الطبيعة البشرية مارس هذه الحرية بطريقة إيجابية. فقدَّم طاعة كاملة للآب ليس فقط فى أنه لم يخطئ، فهذا هو الجانب السلبى لأنه بلا خطية وهذا الأمر مفروغ منه، لكنه

قَبِلَ أن يحمل خطايا غيره ويدفع ثمنها. فطاعة السيد المسيح ليست فى عدم الخطية لأن الكتاب يقول "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب٥: ٨). طاعته للآب كانت فى الجانب الإيجابى، لأنه فى الجانب السلبى هو القدوس، لذلك قال الملاك للسيدة العذراء "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ" (لو١: ٣٥). "كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ" (عب٧: ٢٦). إذا كان ابن الله الكلمة نفسه هو الذى تجسد كيف يقول الأدفنتست أن إمكانية الخطأ كانت ممكنة بالنسبة له. ونسطور ذكر نفس هذه النقطة.

الابن حينما تجسد صار إنسانًا مع أنه لم يتخذ شخص إنسانى لأن **شخصه هو نفسه حمل الطبيعة البشرية**. فشخصه مع الطبيعة البشرية التى حملها، هكذا صار إنسانًا له كل مقومات الإنسانية من رغبات الطبيعة ومن حرية فى اتخاذ القرار.

٣) بدعة سابيليوس والرد عليها

تم الحكم على بدعة سابيليوس فى مجمع القسطنطينية المسكونى الثانى عام ٣٨١م.

اعتقد سابيليوس بأن الله هو أقنوم واحد وليس ثلاثة أقانيم، أى أقنوم واحد بثلاثة أسماء. وأن هذا الأقنوم حينما خلقنا فهو الآب، وحينما خلّصنا فهو الابن، وحينما قدسنا فهو الروح القدس. ولذلك نحن لا نميل إلى عبارة : "الآب خالقنا، والابن مخلّصنا، والروح القدس مقدّسنا" بالرغم من أنها ليست خطأ.

نحن لا ننكر أن الآب خالق، وأن الابن هو مخلّص، وأن الروح القدس يقدّس فى الأسرار الإلهية (أى فى أسرار الكنيسة). ولكن هذه العبارة قد تعطى انطباعًا بأن ما يقوله سابيليوس هو صحيح. أو كأن الخالق هو الآب وحده، بدون الابن والروح القدس، وأن الابن هو المخلص وحده بدون الآب والروح القدس، وأن الروح القدس هو المقدس وحده بدون الآب والابن.

العمل الواحد للأقانيم الثلاثة والدور المتمايز لكل أقنوم

أ) الخلق

نحن نؤمن أن الثالوث القدوس هو الخالق، وأن الأقانيم الثلاثة يعملون معًا مع تمايز دور كل أقنوم فى عملهم الواحد. فالسيد المسيح يقول "مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ (أى الآب) فَهَذَا يَعْمَلُهُ الاِبْنُ كَذَلِكَ" (يو٥: ١٩). ومثلما قيل فى المزمور "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (مز٣٣: ٦) وهذا معناه أن الآب قد خلق السماوات ومن فيها بكلمته وبروحه القدوس. وفى سفر التكوين كُتِب "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَقَالَ اللهُ: "لِيَكُنْ نُورٌ" فَكَانَ نُورٌ" (تك١:١-٣). ويلاحظ اشتراك الروح القدس والكلمة مع الآب فى خلق السماوات والأرض فى اليوم الأول للخلق، وبالتالى باقى أيام الخليقة الستة.

ومعلوم طبعًا أن الله الكلمة الابن الوحيد قد كُتب عنه "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يو١: ٣). وقيل عنه أيضًا: "فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا امْ سِيَادَاتٍ امْ رِيَاسَاتٍ امْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ" (كو١: ١٦، ١٧). فقد ورد فى الأسفار المقدسة الكثير مما يثبت أن الابن هو خالق أيضًا مثل الآب. وكما نقول فى القداس الغريغورى: {المساوى والجليس والخالق الشريك مع الآب} والمقصود بعبارة "الخالق الشريك" هو اشتراك الابن مع الآب فى الخلق.

وورد فى سفر أيوب: "رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي" (أى٣٣: ٤). وقد جاء ذلك على لسان أليهو بن برخائيل الذى تكلم الكلام الصحيح بعد أن أخطأ أصحاب أيوب الثلاثة فى كلامهم، وأجابهم أيوب بكلام لم يرض الله عنه، كما لم يرض عن كلامهم، فصحح أليهو للجميع فى النهاية بكلام قبله الله ولم يعترض عليه.([٣٦]) وأيضًا ورد فى نفس السفر: "وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحًا وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ" (أى٣٢: ٨). **وهذه الأقوال تعنى أن الروح القدس خلق الإنسان ومنحه الحياة وخلق فيه الروح العاقل** لأنه يقول: "نَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ".

ونحن نقول عن الروح القدس فى قانون الايمان أنه {الرب المحيى}. ونقول فى صلاة الساعة الثالثة أنه {كنز الصالحات معطى الحياة} (القطعة الرابعة). إذن نحن نؤمن أن الروح القدس هو الذى يمنح الحياة للكائنات الحية. فهو مانح الحياة ورازق الحياة ومعطى الحياة.

ب) الخلاص

أما بالنسبة للخلاص فإن الخلاص ليس هو عمل الابن وحده، بل هو عمل الأقانيم الثلاثة، وإن كان كل أقنوم له دور متمايز عن الآخر فى عمل الخلاص. **وقال معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين** "**الْمَسِيحِ الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ**" **(عب٩: ١٤)**. أى أن الابن قدَّم نفسه ذبيحة لله الآب بالروح القدس. **وبهذا نرى أن الله الآب كان** "**فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ**" **(٢كو٥: ١٩). وفى ألحان الكنيسة وتسابيحها وصلواتها نقول عن الابن المتجسد: {هذا الذى أصعد ذاته**

---

٣٦ **ملحوظة:** نحن لا نستطيع أن نقتبس كل الآيات التى وردت فى سفر أيوب ونستند عليها فمثلاً الأقوال التى قالها أصحاب أيوب الثلاثة لم ترض الله وكلام أيوب وبخه الله عليه لكنه قال لأصحاب أيوب الثلاثة أن يطلبوا من أيوب أن يصلى لأجلهم لأنهم قالوا كلام غير مقبول فرفضه الله كما رفض رد أيوب عليهم لكنه لم يرفض كلام أليهو بن برخائيل لأنه تكلم بكلام حكمة. لكن أيوب قدم عذراً لله وقبل الله الكلام الذى قاله أيوب فى اعتذاره. لذلك يمكن اقتباس حِكم بشرية من سفر أيوب من بداية (أى٣: ١) حينما فتح أيوب فاه وسب يومه وحتى (أى٣٢ : ١) هذه الأقوال ليست أقوالاً إلهية لأنها تحكى عن أحداث حدثت بالفعل بما فيها من كلام لا يعتبر أقوالاً إلهية، وتفاصيل وأقوال لم يقبلها الله كأنها أقوال إلهية، ويمكن أن نقول عنها أنها أحياناً تحوى حِكم بشرية سجلها الوحى الإلهى لمنفعتنا. أما الجزء الذى يلى (أى ٣٢: ٢) وحتى نهاية السفر فيعتبر كلام الله والبعض منه كلام من الله مباشرةً. أما الأقوال التى وردت فى الأجزاء الأخرى فمجرد أن الوحى أوحى إلى الكاتب أن يكتبها لأنها أحداث تمت بالفعل. كما قال الله لموسى أكتب أن الحية قالت لحواء "لن تموتا" فهذا ليس قولاً إلهياً بل قول للشيطان لكن الوحى أوحى إلى موسى بكتابته. ويعتبر هذا ذكر لواقعة تمت وليس قولاً نقتبسه ونظنه قولاً إلهياً. مثال آخر حينما كان اليهود يتكلمون مع السيد المسيح بكلام غير صحيح وكان السيد المسيح يرد عليهم فليس من الصواب أن نقتبس نصاً من أقوال اليهود وننسبه إلى الله. أما عبارة "روح الله صنعنى ونسمة القدير أحيتنى" فهى فى الاصحاح ٣٣ فى الكلام المقبول ويعتبر مثل المزامير وباقى أسفار الكتاب وما قيل فيها من أقوال مقدسة تعبر عن فكر الله.

ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتّمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}
(لحن ⲫⲁⲓ ⲉⲧⲁϥ ⲉⲛϥ)

ج) عند نهر الأردن:

وفى نهر الأردن كان الابن فى المياه يؤسس المعمودية المقدسة، والآب إذ انفتحت السموات يقول: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت٣: ١٧)، والروح القدس آتيًا ومستقرًا على الابن المتجسد بهيئة جسمية مثل حمامة.

د) التجسد:

وفى التجسد كوَّن الروح القدس ناسوتًا للابن ليتحد به اتحادًا أقنوميًا (أى اتحاد لاهوت الابن بناسوته) فى نفس لحظة تكوين ناسوت الابن. كما قدّس مستودع العذراء مريم.

وقال الابن فى المزمور الأربعين واقتبسها أيضًا القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين "ذبيحة وقربانًا لم تُرِد ولكن **هيأت لى جسدًا**. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر. ثم قلت هأنذا أجيئ فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله" (عب١٠: ٥–٧). وقد اقتبس القديس بولس هذا النص من الترجمة السبعينية Septuagint.

الابن هنا يقول للآب إنك لم تسر بذبائح العهد القديم، وقد جئت لأصنع مشيئتك وأقدم جسدى ذبيحة مقبولة تسر أنت بها، وأنت الذى هيأت لى هذا الجسد (مقصود طبعًا الناسوت الكامل جسدًا وروحًا عاقلاً). وهنا نلاحظ أن تكوين جسد يسوع منسوب إلى الآب وليس إلى الروح القدس وحده، وأيضًا قيل أن "الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (مت١: ٢٠). فهل الروح القدس هو الذى هيأ الجسد أم الآب؟ لا نستطيع أن نفصل. إن الروح القدس هو الذى كوّن الناسوت بما فى ذلك الجسد فى بطن العذراء، ولكنه كوّنه بقدرةٍ إلهية هى **من الآب بالابن فى الروح القدس** كما قال الآباء.
ولذلك قال **القديس كيرلس الكبير** إن الله الكلمة قد كون لنفسه ناسوتًا من بطن العذراء مريم بواسطة الروح القدس([٣٧]) وهذا يتفق تمامًا مع ما أوردناه، ويتفق أيضًا مع ما قاله السيد المسيح أن كل ما يعمله الآب يعمله الابن أيضًا "لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذَلِكَ" (يو٥: ١٩). وقال أيضًا: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ" (يو٥: ١٧).

---

٣٧) انظر على سبيل المثال الرسالة ٥٠ إلى فاليريان خاصة الفصل ٢١.

شهود يهوه مثلاً يركّزون على الآية التى تقول "لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ" (يو٥: ١٩) فنرد عليهم بقولنا إن الابن لا يعمل من ذاته لأنه لا يعمل فى استقلال عن الآب. **فكل ما يعمله الآب يعمله الابن وأيضًا الروح القدس لكن مع تمايز الأدوار فى العمل الإلهى الواحد للثالوث. العمل واحد والأدوار متمايزة.**

هـ) الجلجثة:

مثلاً فى الجلجثة الابن كان يقدم نفسه للآب، فكان لابد أن يشتَّم الآب هذه الذبيحة رائحة سرور ورضا ويتنسم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة (كما قال بولس الرسول لأهل فيلبى عن التقدمات التى قدموها له). لو غاب الآب عن المشهد، فمن الذى يقدم الابن نفسه له؟

لتقريب المفهوم نقول أن الآب هنا أخذ دور الديان بأنه هو الذى يأخذ للعدل الإلهى حقه، مع أن العدل الإلهى هو فى الآب والابن والروح القدس، لكن لكى ينفع العمل لابد أن يأخذ واحد دور الذبيح أو الشفيع والآخر يأخذ دور الديان الذى يتقبل الذبيحة كترضية للعدل الإلهى. هنا العمل واحد وهو الخلاص، لكن للآب دور لا يستطيع أن يغيب عنه وكذلك الابن وأيضًا الروح القدس. ومن خلال الطقس تشرح لنا الكنيسة هذه العقيدة ببساطة وبطريقة محببة وسهلة الاستيعاب، فنقول فى اللحن: {هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}.

و) الحياة والعطايا

كل شيء فى الوجود هو من الآب بالابن فى الروح القدس حتى الحياة نفسها. صحيح أن الروح القدس هو مانح الحياة لكن الحياة أصلها فى الآب، كما قال الآباء أن كل عطية وكل طاقة أصلها فى الآب وتتحقق من خلال الابن فى الروح القدس أو بواسطته. الجوهر واحد وتخرج منه طاقة وقدرة، وهى لا تخرج من الآب وحده أو الابن وحده ولا الروح القدس وحده. هى صادرة من الثالوث لكن كل أقنوم يؤدى دور معين حتى تتحقق هذه القدرة.

أقوال للآباء:

وإليك بعض أقوال الآباء فى أن كل عطية وكل طاقة أصلها فى الآب تتحقق خلال الابن فى الروح القدس.

† **القديس غريغوريوس** أسقف نيصص: "كل عملية تأتى من الله إلى الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها. لها أصلها من الآب وتأتى إلينا من خلال الابن وتكتمل فى الروح القدس".[٣٨]

[38] N. & P.N. Fathers, series 2, Vol. V, Gregory of Nyssa, Eerdmans Pub. 1978, p. 334

✝ **القديس أثناسيوس:** "الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس" [٣٩]

✝ وأيضًا القديس أثناسيوس "الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس" [٤٠]

✝ وكذلك قال القديس أثناسيوس: "من الواضح أن الروح (القدس) ليس مخلوقًا، ولكنه يشترك (له دوره) فى عملية الخلق. لأن الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح (القدس)؛ لأنه حيثما يوجد الكلمة، فهناك الروح أيضًا، والأشياء التى خلقت من خلال الكلمة تأخذ قوتها الحيوية (خارجة) من الروح من الكلمة. لذلك كُتب فى المزمور الثانى والثلاثون "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل قواتها". [٤١]

لقب المخلص

الخلاص هو عمل ثالوثى أما التسمير على الصليب فهو دور الابن، وفى المقابل كان للآب دور مرافق أو مشارك فى نفس العمل وهو قبول الذبيحة التى قدم الابن بها نفسه. والابن قدم نفسه ذبيحة بالروح القدس. ولعل الروح القدس كانت ترمز إليه النار الإلهية التى تنزل من السماء وتلتهم الذبائح التى كانت تقدم على المذبح فى العهد القديم. فهو النار الإلهية التى تُصعد الذبيحة.

وقد ورد فى رسالة معلمنا بولس الرسول لتلميذه تيطس ما يؤكد **أن الآب له لقب المخلص كما أن الابن له لقب المخلص** فقال: "وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ **مُخَلِّصِنَا اللهِ** وَإِحْسَانُهُ . لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَا **بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا**" (تى٣: ٤-٦). هنا معلمنا بولس الرسول يلَّقب كل من الآب والابن بلقب "**مُخَلِّصِنَا**". فالآب سكب الروح القدس بغنى علينا باستحقاقات الخلاص التى تممها يسوع المسيح. فعبارة "**مُخَلِّصِنَا اللهِ**" فى هذه الآية لا يمكن أن تكون إلا على الله الآب الذى سكب الروح القدس بيسوع المسيح. ولا يستقيم الكلام هنا إن إفترضنا أن عبارة "حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ" تعود على الابن لأنه لا يقال عن الابن أنه قد سكب الروح القدس علينا بيسوع المسيح وكأن الابن هو الفاعل والمفعول فى آنٍ واحد. كما لا يستقيم الكلام إن إفترضنا أن "مُخَلِّصِنَا اللهِ" تعود على الروح القدس لأنه يكمل بقوله: "الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَا". [٤٢]

---

[39] Shapland, *Concerning The Holy Spirit*, 3rd letter to Serapion, chapter 5, 174-175

[40] Shapland, *Concerning The Holy Spirit*, 3rd letter to Serapion, chapter 28, 134-135

[41] Stanely M. Burgess, *The Spirit & the Church: Antiquity*, Hendricksons Publishers- P.118

٤٢) فى كتاب "الكفارة والفداء" يدعى الكاتب أن الآب هو الفادى والابن هو الفدية، بل حذّر من تلقيب الابن بالفادى، وفى نفس الكتاب ذكر عبارة "هوذا صوت الفادى يسوع المسيح يناديكم"! هذا لأن الكاتب تربى فى الكنيسة فما نشأ عليه يخرج منه تلقائياً وهو يختلف عما يقتبسه نفس الكاتب من الكتابات الأجنبية.

هرطقة الأقنوم الواحد وعبارة "الله محبة"

إذن لا يمكننا أن نقبل هرطقة سابيليوس التى تقول بالأقنوم الواحد لأن الديانة المسيحية مؤسسة على أن "اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ" (١يو٤: ١٦). وقيل أيضًا: "وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (١يو٤: ٨).

إن الله محبة، فالمحبة هى صفة جوهرية فى الله، ولابد أن يمارسها ممارسة حقيقية قبل أن يخلق الخليقة. ولا يمكن أن نتصور الجوهر الإلهى بدون هذه الصفة! ونظرًا لأن وجود الجوهر الإلهى لا يتوقف على وجود الخليقة وإلا كانت الخليقة هى جزءً من الله، أو هى الله، وهذا مستحيل[٤٣]، إذن فالحب هو فى الله قبل كل الدهور وقبل أن توجد الخليقة، ولا يمكن أن يوجد الحب دون أن توجد الأقانيم التى تتبادل هذا الحب.

والحب الثالوثى غير المحدود، هو كمال المحبة المطلقة. لهذا قال السيد المسيح قبل صلبه للآب "لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يو١٧: ٢٤). وقال أيضًا عن تلاميذه: "وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو١٧: ٢٦). إذن فرسالة السيد المسيح كانت تهدف إلى مصالحة الإنسان مع الله بالفداء لكى يتمكن من التمتع بهذا الحب الذى تتبادله الأقانيم قبل كون الخليقة. ولا يمكن أن يُفهم الله فهمًا حقيقيًا إلا من خلال هذا المنظور.

فعقيدة سابيليوس تؤدى إلى انهيار الديانة المسيحية. لأن معناها أن الله إذا أحب قبل أن يخلق الخليقة فإنه سوف يحب ذاته وهذه أنانية نربأ بها عن الله. وقد صدق أحد الفلاسفة المسيحيون الفرنسيون حينما قال : "أن نحب معناها أن نوجد – وأن نوجد معناها أن نحب" أى أن الوجود بدون المحبة يفقد قيمته ومعناه.

الأقنوم كائن حقيقى له إرادة

ومن أخطر الأمور فى هرطقة سابيليوس أنه يحوِّل الأقانيم إلى مجرد أسماء. ولكن الأقنوم هو كائن حقيقى مثلما نقول للابن فى القداس الغريغورى: {أيها الكائن الذى كان.. والمساوى والجليس مع الآب}. ويقول القديس يوحنا فى إنجيله "اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو١: ١٨). فكيف يُدعى الابن الوحيد الجنس وأنه فى حضن الآب ويكون –حسب رأى سابيليوس– هو مجرد اسم من أسماء الآب أو حتى صفة من صفاته؟!! أنه أقنوم حقيقى يتمايز بخاصية البنوة وله شخصيته الخاصة به، ولكنه واحد مع الآب فى الطبيعة والجوهر، وواحد معه فى الربوبية والملك والمجد والقدرة.

---

٤٣) لو لم يكن ممكناً أن يوجد الله بدون الخليقة فهذا معناه أن الخليقة هى جزء منه وأن لها صفة الأزلية مثله كما أن وجوده مرتبط بوجودها وهذا مستحيل. الخليقة ليست هى الله وليست جزءً منه!

كل أقنوم يحب الأقنومين الآخرين بحرية مطلقة، ولكن أيضًا فى وحدانية مطلقة. ولهذا فالأقانيم لها إرادة واحدة من حيث النوع، وثلاث إرادات من حيث العدد. بمعنى أن كل أقنوم له إرادة ويحب بحرية الأقنومين الآخرين، لكن هذه الإرادة غير منفصلة فى طبيعتها عن إرادة الأقنومين الآخرين، لأن نوع الإرادة واحد ويجمعهم جوهر واحد وطبيعة إلهية واحدة. فما يقرره الآب يقرره الابن ويقرره الروح القدس بالطبيعة.

وبإلغاء سابيليوس لأقنومية الابن وأقنومية الروح القدس تنهار عقيدة الفداء فى المسيحية، لأن الابن قدّم نفسه ذبيحة مقبولة لأبيه السماوى، فكيف يقدم نفسه لنفسه ويتم الفداء؟!! وكيف يخاطب أحدهما الآخر مثلما قال السيد المسيح: "أَيُّهَا الآبُ قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا" (يو١٧: ١) كما أن الآب قد قال سابقًا ردًا على قول الابن: "أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ" (يو١٢: ٢٨) "مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضًا" (يو١٢: ٢٨). كيف يخاطب أحداهما الآخر إن كان أقنوم الآب هو أقنوم الابن وكيف يرد عليه؟!! إن هذا التعليم السابيلى (أى تعليم سابيليوس) يتجاهل كثير من آيات وأحداث الكتب المقدسة فى العهدين القديم والجديد.

إدانة سابيليوس

وقد حرم مجمع القسطنطينية هرطقة سابيليوس الذى عاش فى زمن سابق لتاريخ انعقاد المجمع (أما مقدونيوس فكان هو بطريرك القسطنطينية وقت انعقاد المجمع). أى أن سابيليوس حُرم بواسطة المجمع بعد وفاته، لأن تعاليمه كانت هرطوقية، وقد مات وهو يعلِّم بها، فلهذا حرمته الكنيسة هو وتعليمه. مثلما حُرم كل من ثيئودور الموبسويستى (معلم نسطور) وديودور الطرسوسى بعد وفاتهما وذلك فى مجمع القسطنطينية الثانى ٥٥٣م التالى لمجمع خلقيدونية (كما حرمتهما كنيستنا أيضًا قبل ذلك التاريخ).

قد اعترض البعض على حرم أحد بعد وفاته، ولكن حرم الآباء فى مجمع القسطنطينية لسابيليوس بعد وفاته دليل على صحة هذا الإجراء. إنها هرطقات وقد مات أصحابها وهم يعلّمون بها.

وكان أبوليناريوس قد أدين قبل المجمع المسكونى فى القسطنطينية ٣٨١م فى عدة مجامع مكانية: فى روما ٣٧٧م، وفى الإسكندرية ٣٧٨م، وفى أنطاكية ٣٧٩م. هذه المجامع أدانت هرطقة أبوليناريوس ثم أدين فى المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد فى القسطنطينية ٣٨١م. وكان هو أسقف لاودكية وتوفى سنة ٣٩٠م (أى عاش بعد المجمع تسع سنوات) ولاودكية هى مدينة اللاذقية اليوم فى سوريا.

ثالثًا: مجمع أفسس

مقدمة تمهيدية إلى مجمع أفسس

نسطور

استمر الأريوسيون بعد مجمع القسطنطينية، فى الهجوم على العقيدة الأرثوذكسية، وظهر فى أنطاكيا واعظ قدير، ولد فى قيصرية سوريا، تم أتى إلى أنطاكيا فى سن مبكرة والتحق بدير إفربيوس، ومن هناك عيِّن شماسًا ثم قسيسًا فى كاتدرائية أنطاكيا. ونتيجة للشهرة التى نالها فى دفاعه ضد الأريوسية أختير ليصير أسقفًا للقسطنطينية فى ١٠ أبريل ٤٢٨م، وترجى شعب القسطنطينية أن يجدوا فيه خلفًا ليوحنا ذهبى الفم. وقد جاء هذا البطريرك من مدرسة ثيئودوروس الموبسويستى ودعى هذا البطريرك باسم نسطور خلفًا لبطريرك القسطنطينية التى انتقل فى ٢٤ ديسمبر ٤٢٧م.

وفى عظته الأولى التى يسمونها خطبة العرش خاطب الإمبراطور ثيئودوسيوس الصغير بالكلمات التالية: "إعطينى أيها الإمبراطور الأرض نقية من الهراطقة وأنا سوف أعطيك السماء، ساعدنى لأشن حربًا ضد الهراطقة وأنا سوف أساعدك فى حربك ضد الفرس".[٤٤]

وكان الأريوسيون يهاجمون التعليم الأرثوذكسى كما يلى: يقولون أن الكنيسة تنسب إلى الله –جلت قدرته– الموت والآلام والولادة من إمرأة ويعتبرون هذا كفرًا وأن الله لم يكن له كفوًا أحد.

أفكار نسطور الهرطوقية

وأراد نسطور أن يحارب الأريوسية التى تنكر لاهوت الابن ومساواته للآب فى المجد والكرامة والربوبية، فاستمر يدافع عن اللوغوس ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. فقال أن اللوغوس مثل الآب تمامًا لا يموت ولا يتألم ومنزه عن الاتحاد بالمادة (حسب مفهومه الخاص). ولذلك فقد اختار إنسانًا من بطن أمه وحل وسكن فيه وجعله وسيلة لخلاص البشرية.

ولذلك اعتبر أنه قد انتصر على الأريوسيين بتأكيد ألوهية الابن الوحيد وفصل طبيعة لاهوت اللوغوس عن طبيعة الإنسان يسوع المسيح، فقال إن الابن الوحيد الجنس (المونوجينيس)، لم يمت ولم يولد من

[44] Socrates, *History of the Church from A.D. 305-439*, *Nicene and Post Nicene Fathers*, edited by Schaff, P. & Wace, H., WM. B. Eerdamns Publishing Company, Grand Rapids Michigan 1979, series 2, Vol. II, Book 7, Chapter 29, p. 169

امرأة بل أن الذى ولد منها هو الإنسان يسوع الناصرى الذى سكن فيه اللوغوس منذ لحظة تكوينه فى بطن أمه بفعل الروح القدس وبدون زرع بشر.

واعتبر أن المسيح قد ورث الخطية الأصلية كإنسان وأنه قدَّم نفسه ذبيحة عن نفسه وعن العالم كله. وأن اللوغوس قد سكن فيه ورافقه من البطن وأعطاه كرامته وألقابه وسلطانه وصورته ومشيئته. وبذلك أعطاه سلطانًا أن يصنع كل ما صنع من المعجزات وأن يأخذ لقب ابن الله على سبيل التكريم وأنه ليس إلهًا حقيقيًا.
فقال أن الذى يولد من الإنسان هو إنسان وليس إله، وأن كل طبيعة تلد ما يناظرها وقال أن اللوغوس قد رافق يسوع الناصرى فى آلامه وقواه ليحتمل الصلب واتخذه كأداة لخلاص البشرية.

وفسر عبارة "مَسَحَكَ اللهُ إِلَهُكَ" (عب١: ٩) بأن الابن الوحيد الجنس هو الذى مسح يسوع الناصرى لأنه هو إله يسوع. وأن يسوع هو عبد لله الكلمة وقد مسحه الله الكلمة بالروح القدس. وقال "أنا لا أستطيع أن أقول عن طفل عمره شهرين أو ثلاثة شهور أنه هو الله"[٤٥]

ورفض أن يدعو العذراء والدة الإله وإذ تلقن من أستاذيه ديودور الطرسوسى وثيئودور الموبسويستى إنها والدة الإنسان (أنثروبو طوكوس) فقد حاول المراوغة وتغطية فداحة هرطقته بحيلة جديدة حينما وجد الصراع يحتدم بين أنصار الثيئوطوكوس والأنثروبوطوكوس، فقال أنه ينبغى أن ندعو العذراء والدة المسيح خريستوطوكوس وقال أن لقب ثيئوطوكوس يخص الآب السماوى وحده فى ولادته للابن قبل كل الدهور. فهو يدعو الآب ثيئوطوكوس.

وقد اقتبس نسطور من هرطقة أوريجانوس فكرة أن الروح الإنسانى هو الواسطة أو الوسيط بين اللاهوت والجسد، لأن الله منزه عن الاتصال بالمادة. وفى ذلك يكون –فى نظر نسطور– أن الله الكلمة قد اتصل بالإنسان يسوع بدون اتحاد بين الطبيعتين بل باتحاد الصورة والهيئة الخارجية. واتصل به عن طريق روح يسوع الإنسانى. وعندما سلم يسوع روحه على الصليب يكون الله الكلمة قد فارق جسد يسوع مفارقة تامة؛ لا اتحاد ولا حتى اتصال بل مجرد جسد لا علاقة له باللاهوت على أى مستوى.

[45] Socrates, l.c; Schrockh in his Kirchengesh (Bd. 18, S. 235), quoted by C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol. III, p.44, AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh.

واعتبر نسطور مثل معلميه أن الله الكلمة قد سكن فى شخص إنسان وبذلك يكون المسيح من شخصين. ولقَّب الاتحاد الحادث بينهما بالاتحاد البروسوبونى [٤٦] prosopic union أى اتحاد أشخاص فى الصورة وفى الكرامة وفى السلطة. وقال أنا أوّحد الكرامة والعبادة ولكنى أفصل الطبائع. وقال من أجل كرامة الإله الحال فى الإنسان يعبد الإنسان مع الإله.

وزاد الطين بلة لأنه لم يحل مشكلة الأريوسية التى أنكرت ألوهية الرب يسوع المسيح بل زاد على إنكار ألوهية يسوع المسيح أنه أشرك بالله فى العبادة، فقدَّم يسوع كنبى، وطالب بعبادته مثل الله. وبهذا قدَّم صورة مشوهة للمسيحية يسهل إتهامها بالشرك.

وفى هجومه على الإيمان الأرثوذكسى قال فى خطابه الرابع إلى بروكلس: "إنهم يدعون اللاهوت معطى الحياة قابلاً للموت، ويتجاسرون على إنزال اللوغوس إلى مستوى خرافات المسرح، كما لو كان طفلاً ملفوفًا بخرق ثم بعد ذلك يموت.. لم يقتل بيلاطس اللاهوت – بل حُلَّة اللاهوت. ولم يكن اللوغوس هو الذى لف بثوب كتانى بواسطة يوسف الرامى.. لم يمت واهب الحياة لأنه من الذى سوف يقيمه إذن إذا مات.. ولكى يصنع مرضاة البشر اتخذ المسيح شخص الطبيعة الخاطئة (يقصد البشرية– أى أن الشخص الذى أخذه هو خاطئ).. أنا أعبد هذا الإنسان مع اللاهوت ومثل آلات صلاح الرب.. والثوب الأرجوانى الحى (يقصد يسوع) الذى للملك (يقصد الله).. ذاك الذى تشكل فى رحم مريم ليس الله نفسه.. لكن لأن الله سكن فى ذاك الذى اتَخَذ، إذن فإن هذا الذى اتُخِذ أيضًا يدعى الله بسبب ذاك الذى اتخذ.. ليس الله هو الذى تألم لكن الله اتصل بالجسد المصلوب.. سوف ندعو العذراء مريم ثيئوذوخوس (وعاء الله) وليس ثيئوطوكوس (والدة الإله) لأن الله الآب وحده هو الثيئوطوكوس، ولكننا سوف نوّقر هذه الطبيعة التى هى حُلّة الله مع ذاك الذى استخدم هذه الحلة. سوف نفرق الطبائع ونوحد الكرامة، سوف نعترف بشخص مزدوج[٤٧] ونعبده كواحد".[٤٨]

---

٤٦) كلمة بروسوبون proswpon اليونانية تعنى شخص وهى تتكون من πρός بمعنى "نحو" و ὤψ بمعنى "وجه" أى نحو وجه فحينما نقول "يشخص نحو" نعنى "ينظر إلى"، فعلاقة الشخص بالآخر أنه يتجه نحو الآخر ويقيم علاقات معه مثل علاقة الابن بالآب والروح القدس.

٤٧) وبعبارة شخص مزدوج يعنى شخصين: شخص الله الكلمة وشخص الطبيعة البشرية الخاطئة وهو يسوع. ولكل شخص إرادة خاصة به بل كل شخص منهما مستقل بجوهره عن الآخر تماماً، وبذلك لا يصير الله هو المخلص.

[48] In Marius Merc. l.c. pp. 789-801, quoted by C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh, Vol. III, p16.

وتعقيبًا على ذلك فإن كل المشكلة التى يثيرها هذا الهرطوقى ينحصر حلها حسب شرح القديس كيرلس الكبير فى أن الله الكلمة قد اتخذ طبيعة إنسانية كاملة بلا خطية وجعلها واحدًا مع لاهوته فى شخصه الخاص، أى أنها قد تشخصنت فيه personalized in Him وصار له فى تجسده وهو نفسه الله الكلمة كل ما للطبيعة البشرية من خصائص ما خلا الخطية وحدها. فإذا تألم فإنه يتألم فى جسده الخاص وإذا مات بانفصال روحه الإنسانى من جسده البشرى فإنه يموت بحسب إنسانيته، أو يموت بالجسد، وليس بحسب ألوهيته، لأن اللاهوت لا يتأثر بهذا الموت. فنحن لا ننسب الموت إلى اللاهوت أى إلى الطبيعة الإلهية.

هناك فرق بين أن ننسب الموت إلى الله الكلمة باعتبار أنه هو نفس الشخص الذى تجسد، وبين أن ننسبه إلى طبيعة الله الكلمة الإلهية، بل كما قال القديس كيرلس أن كل ما ينسب إلى جسد الله الكلمة الخاص فإنه ينسب إليه. إننا نقول أن الله الكلمة مات، أى مات بحسب الجسد، ولا نقول إطلاقًا أن لاهوت الله الكلمة قد مات. وهنا يكمن الفرق الأساسى بين ما نعلّم به وبين ما ينسبه إلينا نسطوريوس.
نقول إن الله الكلمة ولد من العذراء "التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة"، ولكن لا نقول أن لاهوت الله الكلمة قد اتخذ له بدءًا من العذراء مريم. بل نقول إن الله الكلمة قد تجسد فى بطنها وولد منها بحسب الجسد أو بحسب طبيعته الإنسانية دون أن يتغير فى ألوهيته. {لم يزل إلهًا أتى وصار ابن بشر لكنه هو الإله الحقيقى أتى وخلصنا} (من ثيئوطوكية الخميس فى تسبحة نصف الليل).

شرح: إذا افترضنا وجود شخص اسمه جرجس وقد ضُرب، نقول ضُرب جسد جرجس. **ما** الذى ضُرب؟ جسد جرجس. **من** الذى ضُرب؟ جرجس. وهكذا نقول أن الله الكلمة اتخذ جسدًا صار هو جسده الخاص، فنقول ضُرب جسد الله الكلمة، فما الذى ضُرب؟ جسد الله الكلمة. من الذى ضُرب؟ الله الكلمة، وليس لاهوت الله الكلمة.
إذا عدنا مرة أخرى إلى جرجس، جرجس هذا له جسد وله روح وهو شخص واحد، لكن إذا قلت ما الذى ضُرب تتحدد الإجابة بأنه جسد جرجس هو الذى ضُرب، لأن روحه لم يصبها الضرب. أما إن قلنا من الذى ضُرب فنقول جرجس. أى شخصه هو الذى ضُرب. هذه المقولة يفهمها طفل لا يتعدى عمره السبع سنوات ولم يفهمها بطريرك القسطنطينية.
ما الذى صُلب؟ الذى صلب هو جسد الرب يسوع المسيح. من الذى صُلب؟ الذى صلب هو يسوع المسيح. وحينما نقول أن الله الكلمة تجسد وظهر فى الجسد، من إذن الذى ولد من العذراء؟ الذى ولد من

العذراء هو الله الكلمة. ما الذى ولد من العذراء؟ جسد الله الكلمة المتحد باللاهوت. **فكل ما يقال عن جسد الله الكلمة نقصد به الجسد المتحد باللاهوت.**

لقد حاول البابا كيرلس عمود الدين كثيرًا أن يشرح ويوضح الأمور لنسطور دون جدوى. وقال له أن ما ينسب إلى جسد الله الكلمة ينسب إلى الله الكلمة. وقال له: يعتبر فاقد العقل من يقول أن اللاهوت تغير أو أنه اتخذ بدء من العذراء أو أن اللاهوت تألم. وقال له: لأننا نقول أن من ولد من العذراء هو الله الكلمة لذلك **لابد أن نسميها والدة الإله على اعتبار أن من ولد منها ليس آخر. لأن "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ"** (عب١٣: ٨).

منذ الأزل هو يسوع المسيح ابن الله، وفى قانون الإيمان الذى يعترف به نسطور نفسه نقول "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور". فهل ولد يسوع الناصرى من الآب قبل كل الدهور؟ للرد نقول أن الذى ولد من العذراء هو نفسه المولود من الآب قبل كل الدهور ومن هنا أتى **البابا كيرلس عمود الدين بقاعدته الذهبية حينما قال: إن الله الكلمة له ميلادان الأول من الآب قبل كل الدهور بحسب اللاهوت، والثانى من العذراء فى ملء الزمان بحسب الناسوت.**

فكيف يقبل نسطور قانون الإيمان النيقاوى–القسطنطينى (نيقية ٣٢٥م والقسطنطينية ٣٨١م ونسطور حوكم ٤٣١م). لم يرتقى إلى الكرسى البطريركى إلا بعد أن أقر قانون الإيمان النيقاوى–القسطنطينى.

الصراعات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس

وما تلاها من تطورات حتى العصر الحالى

لقد دارت السجالات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس حول حقيقة كون السيد المسيح ابن الله وابن الإنسان فى نفس الوقت. أى حول أنه هو هو نفسه وبشخصه نفسه الإله الحق الكلمة الأزلى المولود من الآب بغير انفصال قبل كل الدهور، والإنسان التام الذى بلا خطية وحده، المولود من القديسة العذراء مريم فى ملء الزمان. مساوٍ للآب فى الجوهر من حيث لاهوته، ومساو لنا فى الجوهر من حيث ناسوته.

نشأت هذه السجالات بسبب ظهور بدع كريستولوجية، أسفرت عن حدوث الانشقاق الذى تلا المجمع الخلقيدونى عام ٤٥١ والذى دام قرابة خمسة عشر قرنًا من الزمان. ولكن أمكن التوفيق بين الكنائس الخلقيدونية والكنائس اللاخلقيدونية فى النصف الأخير من القرن العشرين، بفضل الحوارات اللاهوتية التى أزالت سوء الفهم بين الطرفين. وكشفت رفض الطرفين معًا للهرطقات التى علّم بها كل من أبوليناريوس وثيئودور ونسطور وأوطاخى. إلى جوار رفضهم المعروف للهرطقات التى علّم بها كل من أريوس وبولس الساموساطى.

هرطقة أبوليناريوس Apollinarius أسقف اللاذقية Laodicea (٣٩٠) :

لقد حوّل أبوليناريوس تعليم ثلاثية تكوين الإنسان trichotomy من سيكولوجية أفلاطون إلى كريستولوجى، فقال: كما أن الإنسان العادى مكوَّن من جسد ونفس وروح، هكذا يسوع المسيح هو مكوّن من جسد ونفس والكلمة (اللوغوس). وفى رأيه أن الكلمة قد حل محل الروح πνεῦμα واتحد بالجسد والنفس لتكوين الاتحاد.[٤٩]

لم يتصور أبوليناريوس إمكانية وجود نفس إنسانية عاقلة فى المسيح فى وجود الله الكلمة الذى هو روح والذى هو العقل الإلهى منطوق به. ربما تصوّر أبوليناريوس أن النفس الإنسانية العاقلة تعنى بالضرورة شخصًا بشريًا متمايزًا عن شخص الله الكلمة. بمعنى أنه خلط بين مفهوم الشخص الذى هو مالك الطبيعة، ومفهوم العقل الذى هو أحد خواص الطبيعة التى يملكها الشخص، أى أنه اعتبر أن الشخص هو العقل. وأراد بإلغاء الروح الإنسانية العاقلة أن يؤكّد أن شخص كلمة الله هو الذى تجسد وهو هو نفسه

[49] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, AMS Press 1972, p.2 reprinted from the edition of 1883 Edinburgh

يسوع المسيح. بمعنى أن كلمة الله لم يتخذ شخصًا من البشر بل اتخذ جسدًا ذا نفس بلا روح عاقلة. وبهذا تتحقق –فى نظره– وحدة الطبيعة فى المسيح الكلمة المتجسد وعصمته من الخطيئة.
وقد تصوّر البعض أن القديس أثناسيوس الرسولى فى القرن الرابع قد تأثر بفكر وتعليم أبوليناريوس فى تعاليمه الكريستولوجية. ولكن القديس أثناسيوس قد شرح هذا الأمر باستقامته المعروفة فى التعليم فى رسالته إلى أبيكتيتوس. وقال أن عبارة القديس يوحنا الانجيلى أن "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يو١: ١٤) تعنى أن "الكلمة صار إنسانًا" وأن السيد المسيح قد اتخذ طبيعة بشرية كاملة من جسد وروح عاقلة. فقال القديس أثناسيوس: [لأن القول "الكلمة صار جسدًا" هو مساو أيضًا للقول "الكلمة صار إنسانًا" حسب ما قيل فى يوئيل النبى "إنى سأسكب من روحى على كل جسد" لأن الوعد لم يكن ممتدًا إلى الحيوانات غير الناطقة، بل هو للبشر الذين من أجلهم قد صار الرب إنسانًا].[٥٠]

وقال أيضًا فى نفس الرسالة: [إلا أن خلاصنا، فى واقع الأمر، لا يعتبر خيالاً، فليس الجسد وحده هو الذى حصل على الخلاص، بل الإنسان كله من نفس وجسد حقًا، قد صار له الخلاص فى الكلمة ذاته].[٥١]

إدانة هرطقة أبوليناريوس

أدانت عدة مجامع مكانية فى روما (٣٧٧م)، والإسكندرية (٣٧٨م)، وأنطاكية (٣٧٩م) تعاليم أبوليناريوس. ثم أدين فى المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد فى القسطنطينية (٣٨١ م).

كان رأى آباء مجمع القسطنطينية أن السيد المسيح له نفس إنسانية عاقلة لأنه جاء لخلاص البشر وليس لخلاص الحيوانات. وأنه كان ينبغى أن تكون للمسيح إنسانية كاملة لكى يتم افتداء الطبيعة الإنسانية. وأن الروح البشرية مثلها مثل الجسد فى حاجة إلى الفداء وهى مسئولة عن سقوط الإنسان. فبدون الروح البشرية العاقلة كيف يكون الإنسان مسئولاً مسئولية أدبية عن خطيئته؟ فالروح البشرية أخطأت مع الجسد وتحتاج إلى الخلاص، ولهذا يجب أن يتخذها كلمة الله مع الجسد لأن ما لم يتخذ لا يمكن أن يخلص، كما قال القديس غريغوريوس النازيانزى عبارته المشهورة ضد أبوليناريوس فى رسالة إلى الكاهن كليدونيوس "لأن ما لم يتخذه (الله الكلمة) فإنه لم يعالجه؛ ولكن ما تم توحيده بلاهوته فهذا يخلص".([٥٢])

[50] St. Athanasius, Letter to Epictetus, par.8, *N.&P.N. Fathers*, Oct. 1987, Eerdmans, second series, vol. IV, P.573.
[51] Ibid, par.7, P.572,573
[52] St. Gregory of Nazianza, Ep. to Cledonius the Priest Against Apollinarius, *N. & P.N. Fathers* , Vol. VII, series 2, Epistle 101, p. 440, Eerdmans Michigan, Sept. 1978

بمعنى أن ما لم يُتَخَذ بواسطة الله الكلمة لا يخلص. أى إذا اتخذ الله الكلمة جسدًا فقط فإن الجسد هو الذى سيخلص، وإذا اتخذ جسد وروح سيخلص الجسد والروح.

إن أهم ما شغل الآباء ضد الأبوليناريه هو "أن النفس الإنسانية العاقلة، بقدرتها على الاختيار، كانت هى مقر الخطيئة (كرسى الخطية seat of sin)؛ ولو لم يوحّد الكلمة هذه النفس بنفسه، فإن خلاص الجنس البشرى لم يكن ممكنًا".[٥٣]

أى أن الآباء يعتبرون أن الروح الإنسانى العاقل فى الإنسان هى الجوهر الأقوى، وهو القادر على اتخاذ القرار، فى أن يعيش الإنسان فى الخطية أو أن ينفّذ وصايا الله. فيقول الكتاب "إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ" (رو٨: ١٣). ولأن الشخص فى الإنسان مرتبط بالروح العاقل، فالروح العاقل هو الذى يتخذ القرار. والجسد عندما يموت لا يضيع الشخص بل يظل موجودًا مع الروح. مثال لذلك القديسين الذين استشهدوا أو انتقلوا فإن أرواحهم مع أشخاصهم مازالت موجودة وتظهر وتتحرك وتعمل المعجزات. فالجسد يموت ولكن يبقى الروح حى، وبما أن الكيان الحى الذى لا يموت فى الإنسان هو الروح لذلك فإن الشخص مرتبط به.

وكذلك فى تجسد الله الكلمة: فإن الشخص كان مرتبطًا باللاهوت، لذلك فإن روحه الإنسانى لم يكن شخص وكذلك جسده لم يكن شخص. إنما شخصه هو فى الجوهر الأسمى الذى يجمع الثلاثة طبائع معًا أى طبيعة اللاهوت مع طبيعة الروح الإنسانى وطبيعة الجسد.

الإنسان له طبيعتان يكوِّنان طبيعة واحدة، لذلك فالشخص موجود مع الروح الإنسانى الذى هو الجوهر الأسمى فى الإنسان، أما فى المسيح فالجوهر الأسمى هو اللاهوت لذلك فهو شخصه، ويجمع الروح والجسد الإنسانى فى نفس هذا الشخص الواحد.

إن الشخص هو مالك الطبيعة ومالك الجوهر ومالك الكيان، هو صاحب الـ ἐγω (الإيجو) أى "الأنا". وفى حالة الكلمة المتجسد الذى يقول "أنا" هو الذى تجسد، واللاهوت لاهوته هو. ولأن الله الكلمة هو نفسه اتخذ ناسوتًا وصار إنسانًا، وهو نفسه تجسد، فليس محتاجًا لمالك آخر ينافسه، أى ليس محتاجًا لأن يكون لديه اثنين من المُلاك أحدهما يملك الناسوت والآخر يملك اللاهوت. لأنه لو كان الأمر هكذا

[53] J.N.D Kelly, *Early Christian Doctrines*, Chapter XI -Fourth Century Christology - Fifth Edition- A. and C. Black-London 1977,p.296.

لصارت مجرد سكنى، لأن وجود اثنين يعنى سكنى الواحد فى الآخر. لكن مثلما تتحد روح الإنسان بالجسد وكلاهما يملكهما نفس الشخص، هكذا فإن لاهوت السيد المسيح متحد بناسوته، وكليهما (اللاهوت والناسوت) يملكهما نفس الشخص، الذى هو شخص الابن الوحيد.
إن عبارة "أن النفس الإنسانية العاقلة، بقدرتها على الاختيار، كانت هى مقر الخطيئة" التى قالها الآباء سببها أن النفس هى التى تختار، وذلك لأن الشخص مرتبط بالروح، فدائمًا القرار فى النهاية هو قرار روح الإنسان المرتبط بالشخص، لأن القرار هو قرار شخصى personal decision.

أما بالنسبة لنداء الطبيعة فإن الجسد له نداء والروح لها نداء، وهذه تسمى الرغبة desire. وهناك فرق بين الرغبة desire والقرار decision، فالرغبة desire هى مثلما يريد الجسد أن ينام مثلاً، لكن القرار هو أن يسهر ولا ينام، فالرغبة قد لا تنفَّذ. لذلك علّمنا الكتاب ألا نسلك بحسب رغبات الجسد بل رغبات الروح حتى نصل إلى الكمال.

إن رغبات الجسد لا تعتبر خطية فى جميع الأحوال. فمثلاً حينما يعطش الجسد أو يجوع فهذه ليست خطايا. أما فى حالة الصوم فيمتنع الإنسان حتى عن الطعام والشراب. وعندما صام السيد المسيح على الجبل أربعين يومًا وأربعين ليلة "جاع أخيرًا" أى أن الجسد بدأ يطلب الطعام. لكن السيد المسيح قال: "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ" (مت٤: ٤). ولما أكمل التجارب بعد صومه عنا وانتصاره لأجلنا، جاءت الملائكة وصارت تخدمه وأتت له بكل ما يحتاج إليه.

السيد المسيح فى تجسده كانت له رغبات إلهية –وهذا شيء طبيعى– بالإضافة إلى الرغبات الإنسانية التى تمثلها رغبات الجسد وأيضًا الروح الإنسانى. فعندما قال: "لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لو٢٢: ٤٢) كان يقصد لتكن لا رغباتى الإنسانية بل مشيئتك ورغبتك الإلهية التى هى نفسها مشيئتى ورغبتى الإلهية، أما القرار فقد كان قبول الصليب. وهو لم يقل "ليكن لا قرارى بل قرارك" بل "لتكن لا رغبتى بل رغبتك".
وكلمة "مشيئتى" تُفسَر بمعنيين: بمعنى الرغبة وبمعنى القرار. ولذلك من الممكن أن يقول أحد المعنيان فى جملة واحدة، مثلما يقول: (أنا أريد أن أشرب ولكنى لا أريد أن أشرب) هنا أريد الأولى تعنى أرغب، وأريد الثانية تعنى أقرر. بمعنى إنى أرغب فى الشرب ولكنى قررت ألا أشرب لأنى صائم.

إن كلمة "مشيئة" لها معنيان وهما الرغبة والقرار، ومن الممكن أن تستخدم بالمعنيين. ومن هنا جاء الصراع الطويل فى موضوع المشيئة والمشيئتين. ولم يكن من داعى لكل هذا الصراع، فكل طبيعة من طبيعتى السيد المسيح المتحدتين لها رغباتها الطبيعية وتسمى natural wills ولكن السيد المسيح لم

يكن لديه two personal wills لأنه شخص واحد. وهاتان الرغبتان الطبيعيتان اتحدتا معًا مثلما اتحدت الطبيعتان وكونتا طبيعة واحدة من طبيعتين، دون أن تذوب الواحدة فى الأخرى.

الرغبات الطبيعية أيضًا فى السيد المسيح لم يكن بينهما انفصال أو انقسام، ولم تلغى الواحدة الأخرى. ومثلما استمر الجسد قابل للموت واللاهوت غير قابل للموت بعد الاتحاد، هكذا استمرت الرغبات الطبيعية والرغبات الإلهية فى المسيح بعد الاتحاد، بدون انفصال يجعل الواحدة منهما تعمل ضد الأخرى. ولذلك فإننا نقول فى القداس الإلهى: {باركت طبيعتى فيك}.

وقد جعل السيد المسيح رغباته الإنسانية دائمًا خاضعة وطائعة لرغباته الإلهية، بحيث أن الرغبة الإلهية دائمًا فى النهاية هى التى تُنَفَّذ. لذلك يقول الكتاب "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب٥: ٨) أى أنه درب طبيعتنا البشرية فى شخصه على أن تكون دائمًا مطيعة للآب السماوى، خاصة فى مرحلة الآلام حيث بلغت الطاعة ذروتها "أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فى٢: ٨).

ردود الفعل ضد الأبوليناريه

ظهرت ردود الفعل ضد الأبوليناريه فى نفس منطقة أبوليناريوس (سوريا) فى شخص ديودور أسقف طرسوس (توفى ٣٩٤م) Diodore of Tarsus وثيئودور الموبسويستى فى كيليكيا (فى شمال سوريا، عند التقاء تركيا بسوريا) (توفى ٤٢٨م) Theodore of Mopsuestia in Cilicia.

- **ديودور الطرسوسى**

إدّعى ديودور أن اللاهوت سوف ينتقص إذا كوّن الكلمة والجسد اتحادًا جوهريًا substantial (أو أقنوميًا) مشابهًا لذلك الذى ينتج عن اتحاد الجسد والنفس (العاقلة) فى الإنسان.

فى رد فعله على ذلك (أى على فكرة تكوين الكلمة والجسد اتحادًا جوهريًا) قادته نظريته الخاصة إلى الفصل بين اللاهوت والناسوت، وهذا أوصله إلى التمييز[٥٤] بين ابن الله وابن داود. وقال[٥٥] إن الكتب المقدسة تضع حدًا فاصلاً بين أفعال الابنين.. فلماذا يحصل من يجدفون على ابن الإنسان على الغفران، بينما من يجدفون على الروح (الروح القدس) لا يحصلون على الغفران؟[٥٦]

[54] Collected by R. Abramowski, Z.N.T.W. 42 (1949), E.g. frg. 42
[55] Collected by R. Abramowski, Z.N.T.W. 42 (1949), E.g. frg. 19: cf. frg. 42
[56] J.N.D. Kelly, *Early Christian Doctrines*, Chapter XI -Fourth Century Christology - Fifth Edition- A and C Black- London 1977 , p.303.

فتش ديودور فى الكتاب المقدس كله على آية واحدة واخترع منها هرطقة. مع أن السيد المسيح مثلاً قال "إن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه" (مت١٦: ٢٧)، وهو فى هذا القول لم يفرِّق بين ابن الإنسان وابن الله. فمع أن عبارة "مجد أبيه" تدل على أنه ابن الله، إلا أنه ذكر فى بداية القول عبارة "ابن الإنسان" ولم يفصل بينهما.

يفسر ديودور الطرسوسى قول السيد المسيح "كل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من جدَّف على الروح القدس فلا يغفر له" (لو ١٢: ١٠) بأن ابن الإنسان ليس اللاهوت أما ابن الله فهو اللاهوت، لذلك فإن من يجدّف على ابن الإنسان يجدف على الناسوت وليس اللاهوت.

لكن هذه الآية فى الحقيقة لا تعنى ذلك على الإطلاق، بل تعنى أنه حيث أن الروح القدس هو الذى يبكت الإنسان على الخطية، لذلك إذا جدَّف الإنسان على الابن سيغفر له لو تاب بواسطة تبكيت الروح القدس له، أما إذا جدف على الروح القدس فهذا يعنى أنه سيرفض عمل الروح القدس فيه، فمن الذى سيقوده إلى التوبة حينئذ؟! ومن الذى سيرشده إلى معرفة الحق. قال السيد المسيح "متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يو١٦: ١٣). أما الذى يجدف على الروح القدس فلن يجد أحد يعرِّفه بحقيقة المسيح. الذى يجدّف على المسيح بعد فترة من الممكن أن يرشده الروح القدس، ويرجع إلى طريق الصواب ويكتشف خطأه. مثال لذلك: بولس الرسول الذى قال له السيد المسيح "أنا يسوع الذى أنت تضطهده" (أع٩: ٥). هو يسوع واحد، وكان بولس يضطهده فى كل الاتجاهات، فقد كان يفترى عليه، ويقول أنه ليس ابن الله. فهل كانت حرب بولس الرسول فى اضطهاده للمسيحية هى حرب ضد ابن الإنسان فقط؟ وقد كان بولس أيضًا ينكر أن المسيح هو الله. مثل جميع اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا السيد المسيح لأنه قال أن الله أبوه معادلاً نفسه بالله (انظر يو٥: ١٨). (إذًا فالتجديف على ابن الإنسان معناه إنكار تجسد الله الكلمة ومساواته للآب).

- **ثيئودور الموبسويستى**

أراد ثيئودور الموبسويستى أن يؤكد الإنسانية الكاملة للمسيح، واعتبر أن الإنسانية الكاملة لا تتحقق إلا إذا كان المسيح شخصًا إنسانيًا لأنه اعتقد أنه لا وجود كاملاً بلا شخصية. وبهذا لم يكتفِ بتأكيد وجود طبيعة إنسانية كاملة للسيد المسيح، ولكنه تمادى إلى تأكيد اتخاذ الله الكلمة لإنسان تام يستخدمه كأداة لخلاص البشرية واعتبر أن الله الكلمة قد سكن فى هذا الإنسان بالإرادة الصالحة (good will)، وأنه قد اتحد به اتحادًا خارجيًا فقط. واستخدم عبارة اتصال συνάφεια –conjoining

بدلاً من كلمة اتحاد union ἕνωσις . وبهذا فقد جعل فى المسيح شخصين أحدهما إلهى والآخر إنسانى وقد كونا معًا شخصًا واحدًا هو شخص الاتحاد (اتحاد خارجى) مشبهًا إياه باتحاد الرجل بالمرأة.[٥٧]

قال المؤرخ هيفلى[٥٨] C.J. Hefele: [ثيئودور فى خطئه الجوهرى.. لم يحفظ فقط وجود طبيعتين فى المسيح، إنما شخصين أيضًا، وهو نفسه قال ليس هناك كيان subsistence يمكن أن يظن أنه كامل بدون شخصية. لكن كما أنه لم يتجاهل حقيقة أن ضمير الكنيسة قد رفض هذا الازدواج فى شخصية المسيح، إلا أنه سعى إلى التخلص من الصعوبة وكرر القول صريحًا: "إن الطبيعتين اللتين اتحدتا معًا كونتا شخصًا واحدًا فقط، كما أن الرجل والمرأة هما جسد واحد.. فإذا أمعنا الفكر فى الطبيعتين فى تمايزهما يجب علينا أن نعرف طبيعة الكلمة على أنه كامل وتام، وكذلك شخصه. وأيضًا طبيعة وشخص الإنسان على أنها كاملة وتامة. وإذا –من ناحية أخرى– نظرنا إلى الاتصال συνάφεια نقول أنه شخص واحد"[٥٩]. إن نفس صورة الوحدة بين الرجل وزوجته تبيِّن أن ثيئودور لم يفترض اتحادًا حقيقيًا لطبيعتين فى المسيح، ولكن تصوره كان لصلة خارجية بين الاثنين. علاوة على ذلك فإن التعبير "اتصال" conjoining – συνάφεια الذى يختاره هنا بدلاً من كلمة "اتحاد" union ἕνωσις.. مشتق من συνάπτω (الراقصين الممسكين بأيدى بعضهم البعض فى شكل دائرة – أى يصل بعضهم بالبعض الآخر) تعبر فقط عن ارتباط خارجى، وتوطد معًا. لذلك فهو مرفوض بوضوح.. بواسطة علماء الكنيسة.]

ثيئودور الموبسويستى يتكلم عن اتحاد الله الكلمة بالإنسان يسوع وليس اتحاد اللاهوت بالناسوت، ويقول إنه اتحاد فى الكرامة والسلطة والمشيئة، وإنه اتحاد خارجى فى الصورة. لكنه عندما يتكلم عن العلاقة بين الطبيعتين يقول "اتصال". وعندما يتكلم عن الله والإنسان يقول "اتحاد" لكنه يصف نوع هذا الاتحاد فيقول عنه أنه اتحاد خارجى فى الصورة الخارجية. أما عن اللاهوت والناسوت فيقول "اتصال" وليس "اتحاد"، ويعتبر أن الروح الإنسانى هو حلقة الاتصال بين اللوغوس وبين الجسد.

---

٥٧ وما ذكره كاتب كتاب "العريس" من أن اللوغوس أو اللاهوت هو العريس وأن الناسوت هو العروس أو الكنيسة، وبهذا تكون الكنيسة قد ولدت فى بيت لحم، هو أبعد من مفهوم ثيئودور بأضعاف. لأن كاتب كتاب العريس فقال إننا جميعاً اتحدنا باللاهوت فى بطن العذراء وولدت الكنيسة فى بيت لحم. أما الإيمان الصحيح فهو أن المسيح بلاهوته وناسوته هو العريس والكنيسة هى العروس على اعتبار أنه افتداها واشتراها بدمه. قال ثيئودور نفس هذه الفكرة وهى أن اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح ليس اتحاد بل اتصال وأنه اتحاد خارجى فقط مثل اتحاد الرجل بالمرأة.

[58] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh p.6,7.

[59] Hardouin and Mansi, ll. cc. § 29; Dorner, l.c. p.52

حرم المجمع المسكونى الخامس ٥٥٣م ثيئودور الموبسويستى وتعليمه وكان ضمن ما قيل ضده هو أن استخدامه تشبيه اتحاد الرجل بالمرأة عن اتحاد الله الكلمة بالإنسان يسوع يعتبر وقاحة. وكان ضمن ما قاله ثيئودور أيضًا أن توما الرسول حينما قال: "رَبِّي وَإِلَهِي" (يو ٢٠: ٢٨) لم يقلها بمعنى أن المسيح هو ربه وإلهه، إنما قالها من شدة الانبهار، مثلما يرى إنسان كنزًا من الجواهر أو حادث أليم.

كنا نحن قد حرمنا ثيئودور قبل ذلك التاريخ بزمان لأننا فى حرمنا للنسطورية حرمنا نسطور وتعليمه وكل ما يمت إليها بصلة. أما المجمع الخامس ٥٥٣م فقد عقد لإرضاء كنائسنا، إذ حاول الإمبراطور أن يصالح الخلقيدونيين مع اللاخلقيدونيين. فحرم هذا المجمع كتابات ثيئودور الموبسويستى وثيئودوريت أسقف قورش وإيباس أسقف الرها التى تسمى Three chapters controversies (صراع الفصول الثلاثة). أى أنهم عملوا فى المجمع الخامس ما كان يجب عمله فى مجمع خلقيدونية وكان سببًا فى اعتراضنا عليه. كان ثيئودوريت أسقف قورش وإيباس أسقف الرها (٤٣٥-٤٥٧م)، الذين كتبا ضد القديس كيرلس عامود الدين وضد التعليم الأرثوذكسى، كتب إيباس أسقف الرها رسالة إلى ماريس الفارسى ضد تعاليم القديس كيرلس الكبير، ولهذا فقد حرمه المجمع الثانى فى أفسس ٤٤٩م برئاسة البابا ديسقورس. وللأسف حاللله البابا لاون الأول بابا روما قبل انعقاد مجمع خلقيدونية. وفى خلقيدونية قُبل فى الجلسة الثامنة للمجمع بعد أن وقّع على حرم نسطور، ولكن قرئت رسالته ولم يتم حرمها، وإنما تم ذلك فى المجمع التالى فى القسطنطينية ٥٥٣م لمحاولة إصلاح صورة الخلقيدونيين.

ففى هذا المجمع تم حرم كتابات ثيئودوريت أسقف قورش وإيباس أسقف الرها ضد تعاليم القديس كيرلس الكبير، كما تم حرم ثيئودور الموبسويستى وتعاليمه. وللأسف فإن إيباس قد اعتلى كرسى الرها بعد نياحة الأسقف القديس رابولا Rabula من أقوى المدافعين عن تعليم القديس كيرلس الكبير.

ففى خلقيدونية قد تم عزل البابا ديسقوروس وإلغاء الحرومات التى وضعها على ثيئودوريت أسقف قورش وإيباس أسقف الرها. فأصبحت أمامنا المشاكل التالية: أنهم فى مجمع خلقيدونية لم يحرموا شخص وتعليم ثيئودور الموبسويستى، وكذلك تعاليم ثيئودوريت أسقف قورش وإيباس أسقف الرها التى هى ضد تعليم القديس كيرلس عامود الدين. هذا بالإضافة إلى عزل البابا ديسقوروس، وأنهم لم يتكلموا عن الطبيعة الواحدة التى علّم بها البابا كيرلس الكبير، كما أنهم لم يذكروا الاتحاد الأقنومى. قالوا أن المسيح هو أقنوم واحد لكنهم لم يذكروا شيء عن الاتحاد الطبيعى أو الأقنومى. فاعتبرنا أن مجمع خلقيدونية تشوبه شبهة النسطورية خاصة فى قبوله لاثنين من أكبر أعداء الأرثوذكسية، كانا قد حُرما بواسطة مجمع مسكونى برئاسة بابا الإسكندرية، ثم حاللهم لاون الأول بابا روما قبل مجمع خلقيدونية، وضغط على المجمع حتى

يدخلهما إليه ويشركهما فيه، إذ أجبر جنود الإمبراطور المجمع على قبولهما. وكان القديس كيرلس الكبير قد عانى الكثير بسببهما، بل كان الشقاق بين القديس كيرلس ويوحنا الأنطاكى بسبب ثيئودوريت أسقف قورش الذى كتب اثنا عشرة حرمًا ضد حرومات القديس كيرلس عامود الدين. وحينما أمر الإمبراطور بحرق كتب نسطور كانت هناك موجة فى الشرق تتجه إلى كتابات ثيئودور الموبسويستى الذى يعتبر أب لنسطور ومعلمه ونشرت كتاباته.

- **نسطور** [٦٠]

من مدرسة ثيئودور جاء نسطور، الذى ارتبطت باسمه الحقبة الأولى للنزاع الكرستولوجى الكبير. ولد نسطور فى جرمانيكيا (قيصرية سوريا، كهرمان مراس، فى تركيا حاليًا) وهى مدينة بسوريا، ثم أتى إلى أنطاكيا فى سن مبكرة.. والتحق بدير أوبريبيوس فى أنطاكيا (أنطاكيا التى كانت فى ذلك الحين عاصمة الإمبراطورية)، ومن هناك عيّن شماسًا ثم قسيسًا فى كاتدرائية أنطاكيا.. ونتيجة للشهرة التى نالها بعد موت الأسقف سيسينوس أسقف القسطنطينية (أى البطريرك) فى ٢٤ ديسمبر عام ٤٢٧م فقد رُفع إلى هذا الكرسى الشهير، وترجّى شعبه أن ينالوا فيه خلفًا لذهبى الفم أسقف القسطنطينية. منذ وقت سيامته فى ١٠ أبريل عام ٤٢٨م أظهر إعجابًا عظيمًا بعمل الوعظ وحماسًا ضد الهراطقة. ففى عظته الأولى خاطب الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير بالكلمات التالية : "أعطنى أيها الإمبراطور الأرض نقية من الهراطقة وأنا سوف أعطيك السماء، ساعدنى لأشن حربًا ضد الهراطقة وأنا سوف أساعدك فى حربك ضد الفرس."[٦١]

من هذه الكلمات تظهر نبرته المتكبرة، وكأن السماء تحت أمره. والعجيب أنه بمرور الأيام تصبح الكنيسة الوحيدة اليوم التى تعتبر نسطور قديسًا هى كنيسة الفرس فى إمبراطورية فارس Persia.

عندما انعقد المجمع المسكونى فى أفسس عام ٤٣١م، كان انعقاده بأمر إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية أى البيزنطية. وكانت هناك حرب مستمرة بين إمبراطورية فارس Persian Empire والإمبراطورية الرومانية Roman Empire، حتى أن الفرس كانوا يعتبرون أى فارسى تتفق عقيدته مع عقيدة المجمع المسكونى ٤٣١م خائنًا. ونتيجة لذلك تعرَّض السريان الأرثوذكس سكان إمبراطورية فارس

[60] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, p.9-17, AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh

[61] Socrates, *History of the Church from A.D. 305-439*, *Nicene and Post Nicene Fathers*, edited by Schaff, P. & Wace, H., WM. B. Eerdamns Publishing Company, Grand Rapids Michigan 1979, series 2, Vol. II, Book 7, Chapter 29, p. 169.

لذبائح شرسة بإيحاء من الأشوريين للإمبراطور بأنهم خونة لأنهم يتبعون قرارات مجمع أفسس المسكونى ٤٣١م، أى انهم أتباع الإمبراطورية الرومانية فى العقيدة.

نسطور – لأنه كان بطريرك القسطنطينية أى تابع للإمبراطورية الرومانية– فقد قال للإمبراطور أنه سيساعده فى الحرب ضد الفرس. تدور الأيام، والآن كنيسة الفرس هى الوحيدة التى تعتبر نسطور قديسًا لأنها رفضت مجمع أفسس ٤٣١م وظلت محتفظة بتعاليم ثيئودور الموبسويستى التى انتشرت فى الشرق. أراد نسطور أن يثبت خطأ الأريوسيون. وتساءل الأريوسيون كيف يموت الله الكلمة على الصليب؟ فقالوا إن كان الله الكلمة هو الذى مات على الصليب، إذن اللوغوس مخلوق.. وبذلك أنكروا ألوهيته. فقال نسطور أن الله الكلمة ليس هو يسوع بل سكن فى يسوع، وأنه من أجل كرامة الإله الحال فى الإنسان يعبد الإنسان مع الإله. وبذلك تكون الأريوسية قد أنكرت ألوهية الابن والروح القدس بينما النسطورية أنكرت ألوهية الفادى المخلص وأدخلت الشرك بالله.

وفى رسالة.. ليوحنا أسقف أنطاكية، يؤكد نسطور أنه فى وقت وصوله إلى القسطنطينية وجد خصومًا (متضادين) موجودين فعلاً. لقّب أحد أطرافهم القديسة العذراء بلقب "والدة الإله"، والآخر بأنها مجرد "والدة إنسان". وحتى يتم التوسط بينهما قال إنه اقترح عبارة "والدة المسيح" معتقدًا أن كلا الطرفين سوف يرضى بها([٦٢]).. من ناحية أخرى فإن سقراط يروى أن "الكاهن أنسطاسيوس صديق نسطور، الذى أحضره معه إلى القسطنطينية قد حذَّر سامعيه يومًا ما، فى عظة أنه لا يجب أن يطلق أحد على مريم لقب والدة الإله θεοτόκος لأن مريم كانت إنسانة والله لا يمكن أن يولد من إنسان"([٦٣]). هذا الهجوم على الاعتقاد القديم والمصطلح الكنسى المقبول حتى ذلك الوقت، سبب هياجًا عظيمًا واضطرابًا وسط الإكليريكيين والعلمانيين. وتقدّم نسطور نفسه ودافع عن خطاب صديقه فى عدة عظات. واتفق أحد الأطراف (المتضادة) معه، وعارضه الآخر..

وفقًا لهذا التقييم للأمر، فإن نسطور لم يجد النزاع قائمًا بالفعل فى القسطنطينية، ولكنه مع صديقه أنسطاسيوس كانا أول من أثاره. ومع ذلك فإن العظات الموجودة لدينا، كما ذكرنا، والتى ألقاها فى هذا الموضوع لا زالت محفوظة لنا جزئيًا، وهى كافية بالتمام لدحض تأكيدات الكثيرين غير الدقيقة بأن نسطور فى الواقع لم يعلِّم شيئًا ذا سمة هرطوقية. ففى خطبته الأولى هتف بعاطفة [إنهم يسألون إن كان من الممكن أن تدعى مريم والدة الإله. لكن هل لله أُم إذًا؟ فى هذه الحالة يجب أن نعذر الوثنية التى

[62] Mansi, t. v. p. 573; Hardouin, t.i.p. 1331
[63] According to Cyril of Alexandria (Ep. vi. p. 30, Ep. ix. P.37, Opp.t.v.ed. Aubert; and in Mansi, t. iv. p. 1014).

تكلمت عن أمهّات للآلهة، لكن بولس لم يكن كاذبًا حينما قال عن لاهوت المسيح (عب٧: ٣) أنه بلا أب، بلا أم، بلا نسب. لا يا أصدقائى لم تحمل مريم الله.. المخلوق لم يحمل الخالق إنما حملت الإنسان الذى هو أداة اللاهوت. لم يضع الروح القدس الكلمة، لكنه أمد له من العذراء المطوبة، بهيكل حتى يمكنه سكناه.. أنا أكرِّم هذه الحُلة التى إستفاد منها من أجل ذاك الذى إحتجب فى داخلها ولم ينفصل عنها.. أنا أفرِّق الطبائع وأوحِّد التوقير. تبصَّر فى معنى هذا الكلام. فإن ذاك الذى تشكّل فى رحم مريم لم يكن الله نفسه لكن الله إتخذه.. وبسبب ذاك الذى اتَّخَذَ فإن المُتَّخَذْ أيضًا يدعى الله][٦٤]..

من السهل أن نرى أن نسطور قد تبنّى وجهة نظر معلمه ثيئودور الموبسويستى.. وقد أنذره كثير من كهنته بالإنسحاب من شركته ووعظوا ضده. وصرخ الشعب "لدينا إمبراطورًا، لكن ليس لدينا أسقف". والبعض ومنهم علمانيون تكلّموا ضده علنًا حينما كان يعظ، وبالأخص شخصًا بإسم يوسابيوس وهو بلا شك نفس الذى صار فيما بعد أسقف دورليم، والذى على الرغم من كونه علمانيًا فى ذلك الوقت، إلا أنه كان أول من كانت له نظرة ثاقبة وعارض الهرطقة الجديدة. لهذا السبب استعمل نسطور لقب "الرجال البؤساء"([٦٥]) عنه وعن بعض الرهبان الذين وجهوا إلى الإمبراطور اتهامًا ضد نسطور واستدعى الشرطة ضدهم، وتم جلدهم وسجنهم([٦٦]) (أى جلد مجموعة من الرهبان ومن ضمنهم يوسابيوس المحامى الذى صار أسقف دورليم فيما بعد).

إن مقتطفات عظة أخرى موجهة كليةً ضد تبادل الخواص communicatio idiomatum (أى تبادل الألقاب الإلهية والإنسانية للسيد المسيح فى مقابل خواصه الإنسانية والإلهية) وبالتحديد ضد عبارة "تألّم الكلمة"، ولكن خطابه الرابع ضد بروكلوس([٦٧]) هو الأكثر الأهمية ويحوى الكلمات التالية: [إنهم يدعون اللاهوت معطى الحياة قابلاً للموت، ويتجاسرون على إنزال اللوغوس إلى مستوى خرافات المسرح، كما لو كان (كطفل) ملفوفًا بخرق ثم بعد ذلك يموت.. لم يقتل بيلاطس اللاهوت – بل حُلة اللاهوت. ولم يكن اللوغوس هو الذى لف بثوب كتّانى بواسطة يوسف الرامى.. لم يمت واهب الحياة لأنه من الذى سوف يقيمه إذًا إذا مات.. ولكى يصنع مرضاة البشر إتخذ المسيح شخص الطبيعة الخاطئة (البشرية).. أنا أعبد هذا الإنسان (الرجل) مع اللاهوت ومثل آلات صلاح الرب.. والثوب الأرجوانى الحى الذى للملك.. ذاك الذى تشكَّل فى رحم مريم ليس الله نفسه.. لكن لأن الله سكن فى ذاك الذى اتخذه، إذًا فإن هذا الذى اتُّخِذَ أيضًا يدعى الله بسبب ذاك الذى إتخذه. ليس الله هو الذى تألم

---

[64] Marius Mercat. ed. Garnier-Migne, p. 757 sqq
[65] Marius Merc. l.c. p.770 ; Cyrill. Opp. t. iv. P.20; Tillemont, t. xiv. p. 318.
[66] In Hardouin. T. i. p. 1336, Mansi, t. iv. P.1102.

[٦٧]) أسقف سيزيكوس

لكن الله إتصل بالجسد المصلوب.. لذلك سوف ندعو العذراء القديسة ثيئوذوخوس Θεοδόχος (وعاء الله) وليس ثيئوتوكوس θεοτόκος (والدة الإله)، لأن الله الآب وحده هو الثيئوتوكوس، ولكننا سوف نوقّر هذه الطبيعة التى هى حُلة الله مع ذاك الذى إستخدم هذه الحُلة، **سوف نفّرق الطبائع ونوحّد الكرامة،** سوف نعترف بشخص مزدوج ونعبده كواحد][٦٨].

من كل ما تقدم نرى أن نسطور.. بدلاً من أن يوحّد الطبيعة البشرية بالشخص الإلهى، هو دائمًا يفترض وحدة الشخص الإنسانى مع اللاهوت.. لم يستطع أن يسمو إلى الفكرة المجردة، أو يفكر فى الطبيعة البشرية بدون شخصية، ولا اكتسب فكرة الوحدة التى للطبيعة البشرية مع الشخص الإلهى. لذلك فإنه يقول حتمًا أن المسيح اتخذ شخص البشرية الخاطئة، ويستطيع أن يوحِّد اللاهوت بالناسوت فى المسيح خارجيًا فقط، لأنه **يعتبر الناسوت شخصًا** كما هو مبيَّن فى كل الصور والتشبيهات التى يستخدمها.

كتابات نسطور المتأخرة

نسب البعض كتاب "بازار هيراقليدس" Bazar of Heracleides إلى نسطور باعتبار أنه كتبه فى منفاه باسم مستعار. وقد حاول فى هذا الكتاب –كما يبدو– تبرئة نفسه. ولكنه على العكس أكّد هرطقته المعروفة فى اعتقاده بأن شخص يسوع المسيح ليس هو نفسه شخص ابن الله الكلمة. أى الاعتقاد باتحاد **شخصين** اتحادًا خارجيًا فقط فى الصورة. وهذا يهدم كل عقيدة الفداء لأن الله الكلمة لا يكون هو هو نفسه الفادى المصلوب مخلّص العالم ولا يصير لكلمات يوحنا الإنجيلى الخالدة "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦) أى معنى. بل كيف يتحقق قول الرب بفم نبيه أشعياء "أَنَا أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ **غَيْرِي** مُخَلِّصٌ" (أش٤٣: ١١).

وفيما يلى النصوص التى نسبت إلى نسطور فى الكتاب المذكور Bazar of Heracleides:

١– هما **شخصان** Two prosopa : شخص ذاك الذى ألبَس وشخص (الآخر) الذى لَبِس.[٦٩]

(هو لا يقصد هنا prosopon بمعنى وجه فقط لأنه يقول ذاك والآخر فهى تعنى شخص وشخص آخر).

٢– لذلك فإن صورة الله هى التعبير التام عن الله للإنسان. فصورة الله المفهومة من هذا المنطلق يمكن أن نظنها الشخص الإلهى. الله سكن فى المسيح وكشف ذاته للبشر من خلاله. مع أن **الشخصان** Two prosopa هما فى الحقيقة صورة واحدة لله.[٧٠]

---

[68] In Marius Merc. l.c. pp. 789-801.

[69] Bazar of Heraclides (LH 193), quoted by Bernard Dupuy, OP, 'The Christology of Nestorius' published in *Syriac Dialogue* First non-official Consultation, by Pro Oriente Hofburg Marschallstiege II A-1010 Vienna, 1994, p.113

[70] Rowan Greer: '*The Image of God and the Prosopic Union in Nestorius' Bazar of Heraclides* in Lux in Lumine, Essays to Honor W. Norman Pittenger, edited by R. A. Morris jr., New York 1996, p. 50; quoted by Metropolitan Mar

٣- يجب ألا ننسى أن الطبيعتين تستلزمان أقنومين و**شخصين** (prosopons) Two persons متحدين فيه بقرض بسيط (simple loan) وتبادل.[٧١] (عبارة قرض بسيط تعنى الاتحاد الخارجى وليس الطبيعى، فهو يرفض فكرة الاتحاد الأقنومى)

بداية الصراع بين كيرلس ونسطور؟٧

لم يمض زمان طويل على انتشار آراء نسطور من القسطنطينية إلى ولايات أخرى، ومنذ بداية سنة ٤٢٩م أن كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية، وجد أنه من الضرورى أن يقدم تعبيرًا واضحًا وبسيطًا للعقيدة الأرثوذكسية فى عظة عيد القيامة، لكن بدون ذكر نسطور والأحداث التى حدثت فى القسطنطينية، معلنًا بأن ليس اللاهوت بذاته، ولكن اللوغوس الذى اتحد مع الطبيعة البشرية، هو الذى وُلد من مريم[٧٣].

وقد جرت محاولة خاصة لنشر النسطورية بين رهبان مصر الكثيرين، وتم إرسال مبعوثين لهذا الغرض، نشطاء فى هذا المجهود.

(كان نسطور أحيانًا كنوع من المراوغة يقول إنه كما أننا نقول عن يسوع أنه الله على سبيل التكريم فقط، فحتى لو قلنا أن العذراء هى والدة الإله فيكون ذلك على سبيل التكريم أيضًا)..

وفى خطاب عقائدى متكامل إلى الرهبان[٧٤]، يظهر كيرلس الآن كيف أنه حتى أثناسيوس هذا العظيم قد استخدم التعبير "والدة الإله" وأن الكتب المقدسة ومجمع نيقية قد قالت بالاتحاد التام بين الطبيعتين فى السيد المسيح.. إن اللوغوس بذاته لا يمكن أن يدعى المسيح[٧٥]؛ وأيضًا لا ينبغى أن ندعو السيد المسيح حامل الإله qeofo,roj متخذًا الناسوت كأداة، ولكن ينبغى أن يُدعى "الله بالحقيقة صار إنسانًا".

إن جسد السيد المسيح ليس جسد أى شخص آخر، ولكنه جسد الكلمة؛ **أى أن طبيعة المسيح البشرية لا تنتمى لأى شخص بشرى، ولكن الشخصية التى تنتمى إليها هو اللوغوس**.. وفى الختام فقد قارن أيضًا بين موت السيد المسيح وموتنا. يقول بخصوصنا نحن، أنه الجسد فقط الذى يموت، ولكننا نقول على الرغم من ذلك أن الإنسان مات.. وهكذا الحال مع المسيح. فاللاهوت بذاته لم يمت، ولكن

Aprem G. Mooken entitled "*Was Nestorius a Nestorian*" published in *Syriac Dialogue* First non-official Consultation, by Pro Oriente Hofburg Marschallstiege II A-1010 Vienna, 1994 p. 223.

[71] R. Nau, Paris 1910, ed. Letouzey et Ane, *Le Livre d'Heraclide de Damas* (=L.H.); p. 28.

[72] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, p.17-25 , AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh

[73] Cyrill. Alex. Opp. t.v. p. ii. p. 222

[74] Opp. l.c. Epist. I. pp. 1-19; in Mansi, t. iv. pp. 587-618.

٧٥) كتب القديس كيرلس "إن هذا الاسم (اللوغوس) كان يناسبه حينما صار إنساناً"

اللوغوس ينتمى إلى طبيعته البشرية فى المكانة الأولى، وهكذا يمكننا القول "أنه قاسى الموت". كإنسان قاسى الموت ولكن كإله فقد أبطل الموت مرة أخرى؛ ولم يكن يستطيع أن يكمِّل خلاصنا بطبيعته الإلهية إذا لم يحتمل الموت من أجلنا فى طبيعته البشرية.

بلغت رسالة كيرلس هذه إلى القسطنطينية أيضًا، وأثارت نسطور ليستخدم عبارات عنيفة بشأن زميله السكندرى. وقام كيرلس بتوجيه خطاب قصير إلى نسطور قال فيه: لم يكن هو (كيرلس) ورسائله، ولكن نسطور أو صديقه هما السبب فى الفوضى الكنسية السائدة حاليًا [٧٦].. أجاب نسطور على ذلك فى سطور قليلة احتوت، فى مجملها، على مديح فى نفسه[٧٧]..

فى الرسالة الأولى لنسطور لم يتعرض البابا كيرلس للعقيدة لكنه أرسل لنسطور يقول: لم نبدأ نحن بالهجوم بل أنتم عندما قلتم محروم من يقول أن العذراء هى والدة الإله. وعاتب نسطور لأنه كان حاضرًا فى الكاتدرائية وقتما قال كاهنه هذا الكلام وهو لم يعترضه أو يوقفه؟ وقال إننا ندافع عن إيمان الآباء. لكنه لم يتعرَّض فى هذه الرسالة لأى شروحات عقائدية. أما رسالة البابا كيرلس الثانية إلى نسطور فتسمى الرسالة العقائدية epistola dogmatica (وهى الرسالة الرابعة فى عداد الرسائل التى من القديس كيرلس وإليه) وقد اعتمدها مجمع خلقيدونية نفسه، كما اعتمدت بالإجماع فى الجلسة الأولى من مجمع أفسس ٤٣١م.
فى خطاب جديد إلى نسطور (مقصود به هذه الرسالة العقائدية)، حدد كيرلس العقيدة الأرثوذكسية قائلاً: [الكلمة لم يصر جسدًا بطريقة تجعل طبيعة الله تتغير أو تتحول.. على النقيض من ذلك فإن اللوغوس قد اتحد أقنوميًا مع الجسد σὰρξ المتحرك المحيا بالنفس العاقلة ψυχὴ Λογικὴ وهكذا صار إنسانًا بطريقة يتعذر تفسيرها.. إن الطبيعتين المتميزتين قد اتحدتا فى اتحاد حقيقى.. ليس كما لو كان الاختلاف فى الطبائع قد اختفى بالاتحاد (بدأ هنا يوضح أن الاختلاف فى الطبائع استمر بعد الاتحاد)، ولكن على العكس، بأنهما قد شكّلا الرب يسوع المسيح الواحد والابن بالاتحاد غير المنطوق به بين اللاهوت والناسوت.. اللوغوس اتحد مع الطبيعة البشرية فى رحم مريم؛ وهكذا وُلد بعد أن أخذ جسدًا. وهكذا أيضًا تألم الخ .. وحيث أن اللوغوس فى نفسه غير قابل للألم، فقد احتمل هذا فى الجسد الذى اتخذه "[٧٨]. (إذًا آلام جسده تنسب إليه)

[76] In Mansi, t. iv. P. 883 sq. *Works of Cyril*, l.c. Epist. ii. p.19 sq.
[77] Cyrill. Opp. L.c. iii. p. 21; Mansi, l.c. p. 886
[78] Cyrill. Opp. L.c. Epist. iv. p. 22; Mansi, l.c. p.887 sqq., t. iv. P. 659; Hardouin, t. i. p.1273, and t. ii. p. 115; in German by Fuchs, l. c. S. 479 ff.

أجاب نسطور.. إننا لا ينبغى أن نقول أن الله وُلد وتألم أو أن مريم كانت والدة الإله؛ لأن ذلك يعتبر وثنيًا وأبوليناريًا وأريوسيًا..

أما كيرلس.. فقد أرسل الشماس بوسيدونيوس Possidonius إلى روما، وأعطاه مذكرة خاصة بيَّن فيها الخطأ النسطورى والعقيدة الأرثوذكسية المعارضة لها.

عندما أرسل البابا كيرلس عامود الدين إلى البابا كليستين أسقف روما (الذى نعتبره قديس) رسالة يشرح فيها العقيدة، رد البابا كليستين على البابا كيرلس برسالة فى منتهى الروعة، قال فيها: لقد غَسَلَت نقاوة تعاليمك كل الأقذار والأوساخ وظلمة العقل التى جلبتها علينا النسطورية. وفى نفس الرسالة قال له اعقد مجمعًا مسكونيًا، ولو لم يرجع نسطور عن أفكاره الخاطئة فى خلال عشرة أيام، وقِّع عليه الحرم عن كنيستك وكنيستى أيضًا.. والمعنى الذى تحمله هذه الرسالة هو أنه لولا تعاليم البابا كيرلس لضاعت الكنيسة، هذا ملخص هذه الرسالة.

كما قال البابا كلستين أنه موافق على كل ما سيقوله البابا كيرلس وعلى أن البابا كيرلس يمثِّل كنيسة روما والإسكندرية معًا. وأعطى تعليمات لمندوبيه الذين حضروا مجمع أفسس[٧٩] بأن يوافقوا فى المجمع على كل ما يقوله البابا كيرلس. وفى اتضاعه كتب إلى البابا كيرلس قائلاً إن نهر تعاليمك النقية قد غسل أقذار تعاليم نسطور وأزاح الظلمات عن عقولنا وأذهاننا. وكأنه يعترف أن البابا كيرلس غسل له عقله من ظلمة هرطقة نسطور أو من الضباب الذى أصاب العقول بسببها، فكانت كلمات البابا كيرلس نورًا مضيئًا أزاح الظلمة.
كان هذا هو الحال وقت انعقاد مجمع أفسس، ولكن للأسف الشديد أن لاون الأول الذى كان شماس البابا كليستين سلك سلوكًا مغايرًا. فأية مفارقة هذه بين ما يقوله كليستين لكيرلس وما عمله شماسه فى خليفة كيرلس (البابا ديسقورس) الذى حافظ على تعاليمه ودافع عنها وضحى بكرسيه (أى منصبه) فى سبيل ألا يتنازل عن حرف واحد من تعاليم البابا كيرلس عامود الدين. فبمقدار وفاء البابا ديسقورس لباباه بمقدار خيانة لاون لباباه، لذلك يستحق ديسقورس أن يلقب بطل الأرثوذكسية.

[٧٩]) لم يحضر بابا روما بنفسه المجمع المسكونى مثلما عمل أسلافه فى المجامع السابقة لأن المجامع المسكونية كانت تعقد بدعوى من إمبراطور الشرق. ولحرص بابا روما على ألا يغضب إمبراطور الغرب إذا حضر المجمع بنفسه، كان يرسل مندوبين عنه على اعتبار أن المجمع لم يعقد فى الإمبراطورية الرومانية الغربية. أما إذا كان المجمع قد عقد فى روما أو أسبانيا كان سيحضره بابا روما مع بطاركة الشرق.

ديسقورس كان يرى فى النسطورية خطر داهم جدًا، وقد استغل أوطاخى الموقف وحاول أن يبدو أنه أحد ضحايا التيار النسطورى الموجود فى الشرق، وبذلك بدا فى عينى ديسقورس أنه برئ. ولكن ديسقورس لم يقصد أبدًا أن يؤيد تعاليم أوطاخى الخاطئة.

أضف إلى ذلك أن البابا ديسقورس قد تخطى تعبيرات القديس كيرلس اللاهوتية بتعبير مذهل (أنا أتعجب كيف أتى به) فى سبيل أن يؤكد أنه ليس أوطاخيًا على الإطلاق. ففى أيام البابا كيرلس لم تكن هرطقة أوطاخى قد ظهرت بعد لذلك كانت تعبيراته مسترسلة، سهلة، وليست متخذة حرص ضد الأوطاخية فى كل الأوقات (وإن كان قد اتهم فى بعض الأوقات بأنه يمزج الطبيعتان فدافع عن هذه النقطة، ولكن هذا فى مرحلة متأخرة من رسائله). أما البابا ديسقورس فعندما حضر إلى مجمع خلقيدونية طلبوا منه أن يقول "طبيعتين من بعد الاتحاد". قال: إن هذا مستحيل ولكن ممكن أن أقبل تعبير "**من طبيعتين بعد الاتحاد**". هذا التعبير لم يقله البابا كيرلس أبدًا، ولعلكم تستغربون هل معنى هذا أن البابا ديسقورس ترك تعليم كيرلس عامود الدين؟ الإجابة هى: لا بالطبع، ولكن البابا كيرلس قال تعبيرين: "طبيعة واحدة متجسدة بعد الاتحاد" و "أنه من طبيعتين" وأن هذه الطبيعة الواحدة هى طبيعة مركبة composite nature وأقنوم مركب composite hypostasis. فمن ذكاء البابا ديسقورس أنه جاء بتعبير لم يذكره القديس كيرلس، لكن أكّد به عقيدة القديس كيرلس، فقال: من الممكن أن أعترف أن المسيح "من طبيعتين بعد الاتحاد". لو أنه قال من طبيعتين فى الاتحاد، لكان من الممكن أن تذوب إحداهما فى الأخرى، لكن "من طبيعتين بعد الاتحاد" أى أن الطبيعتان استمرتا موجودتين فى الاتحاد وكوّنتا معًا طبيعة واحدة.. فقال "أؤمن بطبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة من طبيعتين بعد الاتحاد" out of two natures after the union أى ظل الاتحاد مكوّن من طبيعتين، ولم تتلاشى إحدى الطبيعيتن.

عندما اتهموا القديس كيرلس بأنه أذاب طبيعة فى الأخرى بقوله "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة"
Μία φύσις τοῦ Θεοῦ Λογοῦ σεσαρκωμένη
جاوبهم القديس كيرلس بأن كلمة "متجسدة" تثبت استمرار الناسوت أى الطبيعة الإنسانية، بمعنى إن الناسوت لم يذب فى الطبيعة الإلهية، كما أن عبارة "الله الكلمة" تؤكّد استمرار اللاهوت أى الطبيعة الإلهية. لذلك تكلم القديس كيرلس عن الاستمرارية continuity وقال:
The two natures persist (to exist) after the union

قال القديس ديسقوروس أيضًا فى مجمع خلقيدونية، إنه لو علّم أحد تعليمًا ضد تعليم الآباء (إن كان أوطاخى أو غيره)، ليس فقط ينال الحرم، بل يُرسل للجحيم. لئلا تظنوا أنه بعد أن برأ أوطاخى سنة ٤٤٩م ظل يدافع عنه فى خلقيدونية سنة ٤٥١م.

وعلى الرغم من قوله هذا، وبعد أن كانوا قد أجلسوا البابا ديسقوروس فى الجلسة الأولى على كرسى رئاسة المجمع، إلا إنه فوجئ بمؤامرة مدبرة، وبدأت الهتافات فى صف لاون بابا روما. وشعر البابا ديسقوروس أن هذا المجمع عبارة عن مؤامرة سياسية لتأييد كسر نذر بولكاريا وزواجها من مركيان.[٨٠] وشعر أن هذا المجمع كان هدفه هو إرضاء لاون الأول بابا روما وتبرئة طومس لاون. وعند تبرئتهم لطومس لاون، قال الأساقفة اليونانيين الذين يجيدون اليونانية أن هذا الطومس هو ضد تعليم البابا كيرلس عمود الدين، ونحن لا نقبل طومس لاون. نحن نقبل فقط تعليم البابا كيرلس عامود الدين، ونحرم أوطاخى.

جاء الأساقفة ذوو النية الصادقة إلى مجمع خلقيدونية لكى يحرموا هرطقة جديدة ظهرت، هى هرطقة أوطاخى، التى لم تكن قد انكشفت حقيقتها بعد فى وقت مجمع أفسس الثانى ٤٤٩م بسبب مخادعة أوطاخى، لذلك اجتمع مجمع خلقيدونية ليحرم الأوطاخية –كما اجتمع مجمع أفسس من قبل ليحرم النسطورية– وبهذا المفهوم ذهب البابا ديسقورس للمجمع ومعه ١٤ أسقف مصرى ليؤيّد حرم أوطاخى، ففوجئ بمظاهرة لتأييد لاون وطومسه.

بدأ الأساقفة اليونانيين يعارضون طومس لاون، فطلب المجمع من هؤلاء الأساقفة أن يدرسوا الطومس لمدة خمسة أيام كلٍ على حِدة، ولكن هذا تم تحت تهديد ضباط الإمبراطور إن لم يوافقوا على الطومس، وبالفعل قبل استكمال الخمسة أيام أعطوا رأيهم بالموافقة على الطومس وقالوا إنه يتفق مع تعاليم البابا كيرلس عامود الدين.

[٨٠]) كسرت بولكاريا نذر رهبنتها وتزوجت بماركيان وأعلنته إمبراطوراً لكى تحتفظ بالملك. فماذا نتوقع من إمبراطورية بدأت بكسر نذور إلا أسوأ مجمع مسكونى فى تاريخ الكنيسة أى مجمع خلقيدونية؟ فلكى تأخذ بولكاريا اعترافاً من إمبراطور روما بأن ماركيان هو الإمبراطور ولكى لا تكون هناك حروب بين الإمبراطورية الشرقية والغربية طلبت من الإمبراطور فى روما الاعتراف بإمبراطوريتهم فاشترط أن ترضى بابا روما.. وكان شرط إرضاء بابا روما هو عقد مجمع لمحاكمة ديسقوروس بابا الاسكندرية الذى تجاسر وحرم طومس لاون.

وردت فى طومس لاون تعبيرات تحمل معنيين أو تحتمل تفسيرين، أحدهما من الممكن أن يُؤخذ على محمل نسطورى، والآخر من الممكن أن يُقبل بكونه سليم إيمانيًا.[٨١] والبابا ديسقوروس لم يحرم الطومس إلا عندما وجد أن لاون قد حالل أسقفان نسطوريان من كبار أعمدة النسطورية. فتيقظ إلى أن التعبيرات التى تحمل المعنيين متساهلة مع النسطورية. لذلك عندما ضغط ضباط الإمبراطور على الأساقفة اليونانيين، اضطروا لأن يرجّحوا المعنى البرئ بالطومس، وقالوا يُقبل طومس لاون كوثيقة من وثائق المجمع، ولكن ليس هو إيمان مجمع خلقيدونية، ويُقبل فقط على أساس إيمان القديس كيرلس. وقال الأساقفة الحاضرون أنهم يضعون النص العقائدى لمجمع خلقيدونية على أساس طومس الأب المكرم لاون. إلا أن النص العقائدى لمجمع خلقيدونية كان أفضل حالًا من طومس لاون، ولكن كانت به بعض النواقص: لأنه بعد أن وردت عبارة "من طبيعتين" فى النص اليونانى، وردت عبارة "فى طبيعتين" فى النص اللاتينى، وبعد انقضاء المجمع تم تغير النص اليونانى وكتبت عبارة "فى طبيعتين". كما أن هذا النص ذكر ὑπόστασις أقنوم واحد لله الكلمة المتجسد لكن لم يذكر شيء عن الاتحاد الأقنومى. وقد هوجم مبدأ الطبيعة الواحدة بسبب الأوطاخية، وتقرر أن من يمزج الطبيعتين وينادى بالطبيعة الواحدة يكون محرومًا.

ثم حكموا بعزل البابا ديسقوروس. ولكن رئيس المجمع أناطوليوس بطريرك القسطنطينية الذى تولى رئاسة المجمع بعد البابا ديسقورس (وقد كان للأسف أحد تلاميذ البابا كيرلس عامود الدين) قال فى المجمع عبارات فى صف البابا ديسقوروس وهى: أن البابا ديسقورس لم يُعزل لأسباب عقائدية لكنه قد عُزل لأسباب إدارية وقانونية:

---

[٨١] يذكر الطومس "أن كلا الطبيعتين تعمل ما يخصها فى الاتحاد فالكلمة يصنع المعجزات والآخر ملقى للإهانات". فإذا أخذنا كلمة "الكلمة" بمعنى شخص الكلمة فإن كلمة "الآخر" سوف تعنى الشخص الآخر. أما إذا أخذنا كلمة "الكلمة" بمعنى الطبيعة الإلهية، فستعنى كلمة "الأخرى" الطبيعة الإنسانية، أى أنه تألم بالجسد. فكلمة "الكلمة" ليست كلمة محددة، لأنها قد تعنى الطبيعة الإلهية أو الأقنوم الثانى. حينما قمنا بالحوار فى شامبيزى درسنا النص اللاتينى واليونانى والإنجليزى للعبارة دراسة عميقة، فوجدنا أنه كان من الممكن قبول العبارة لأنه ذكر فى نفس الطومس أن الذى صلب على الصليب والذى ولد من العذراء هو الله الكلمة. فهناك عبارت ذكرت فى الطومس لا يمكن أن يقبلها النساطرة فكان من الممكن أن تشفع فى هذه العبارة. ولذلك لم يشأ البابا ديسقورس أن يحرم لاون فى رئاسته لمجمع أفسس الثانى عام ٤٤٩م الذى يسميه الخلقيدونيون مجمع اللصوص، مع أن هذا يعتبر المجمع المسكونى الرابع. لكن بسبب مخادعة أوطاخى، أعاده البابا ديسقوروس إلى الشركة فى هذا المجمع، لذلك لم نشأ أن نعتبر هذا المجمع مجمعاً مسكونياً لئلا يعتبر أوطاخى محالاً. أما باقى قرارات هذا المجمع فقد تم الاحتفاظ بها. لذلك فى سعيهم لمصالحتنا فى مجمع القسطنطينية الخامس ٥٥٣م حرمت كتابات ثيؤدوريت أسقف قورش وإيباس أسقف الرها وشخص ثيئودور الموبسويستى وقد كانت هذه جزء من قرارات مجمع أفسس الثانى ٤٤٩م واعتبروها قرارات لمجمعهم. أما نحن فقد حرمنا أوطاخى بعد ذلك فى مجمع أفسس الثالث ٤٧٥م الذى رأسه البابا تيموثاوس الثانى Timothy Aurelus بحضور ٥٠٠ أسقف حيث حرم تعليم أوطاخى ومن يقول بذوبان الطبيعتان دون ذكر اسم أوطاخى. لكن هناك مجامع أخرى فى كنائسنا اللاخلقيدونية حرمت أوطاخى بالاسم. وقد حرم مجمع أفسس الثالث ٤٧٥م أيضاً مجمع خلقيدونية.

- ❖ حيث إنه حرم فلافيانوس بطريرك القسطنطينية ويوسابيوس أسقف دوريليم.
- ❖ وأنه لم يقرأ طومس لاون فى مجمع أفسس الثانى ٤٤٩م.
- ❖ وخطأه فى إدارته لمجمع أفسس الثانى ٤٤٩م.
- ❖ وموقفه ضد البابا الرومانى الذى اعترف له مجمع خلقيدونية وأعطاه مكانة لم تكن موجودة أصلاً فى تراث الكنيسة.

فقد أصدر مجمع خلقيدونية بعض قرارات أعطت للبابا الرومانى وضع أكبر من حجمه. ومن ذلك التاريخ فصاعدًا بدأت الغطرسة الرومانية التى أدّت فى النهاية إلى عصمة بابا روما، وإلى صكوك الغفران، ومحاكم التفتيش، وثورة الإصلاح البروتستانتى، وأدّت أيضًا إلى الانشقاق الحادث بين القسطنطينية وروما سنة ١٠٥٤م نتيجة بدعة انبثاق الروح القدس.. فبعد أن انفردت روما سنة ١٠٥٤م عن أى كنيسة أخرى، بدأت تنحرف وظهر منها بدعة المطهر، واستمرت فى بدعة انبثاق الروح القدس، ثم أصدرت بدعة خلاص غير المؤمنين، وبدعة الزواج بغير المؤمنين. ثم كل الهرطقات الكاثوليكية التى حدث بعدها الانشقاق البروتستانتى فى القرن السادس عشر، وثورة الإصلاح، والتى صارت بدورها منبعًا للبدع والهرطقات التى ملأت العالم كله مثل الأدفنتست وشهود يهوه والمورمون و..إلخ

بالطبع "قبل الكسر الكبرياء" فكل الهرطقات التى ظهرت فى العالم كانت من الكنيسة الكاثوليكية مباشرة أو من الكنائس التى كانت قبلاً كاثوليكية ثم تحوّلت مثل كنيسة انجلترا التى انشقت سنة ١٥٣٨م، ومارتن لوثر الذى حُرم سنة ١٥٢١م، الذى كان راهبًا كاثوليكيًا وتزوج براهبة، ومنه خرجت بدعة الأدفنتست وشهود يهوه والمورمون (يؤمن المورمون بأن الله الآب كان رجلاً وقد تزوج وأنجب أطفال، ثم تحوّل إلى إله، وكان يسوع المسيح من ضمن الأطفال الذى أنجبهم الآب!!).

لم تخرج أى هرطقة من كرسى الاسكندرية أو كرسى القسطنطينية، لأنهم لم يدَّعوا لأنفسهم أحقية رئاسة الكنيسة فى العالم كله، بمعنى أنه لم تلزم كنيسة الاسكندرية أو كنيسة القسطنطينية كل الكنائس بالخضوع لكرسى الاسكندرية أو كرسى القسطنطينية.

وعلى الرغم من أن نسطور كان بطريركًا للقسطنطينية ألا أن النسطورية لم تستمر فى القسطنطينية. وبعد عزل بطريرك القسطنطينية نسطور استمرت النسطورية فى الشرق فى الكنيسة الأشورية النسطورية، بعيدًا عن القسطنطينية، فى منطقة ليست تحت سلطان القسطنطينية وذلك نتيجة لانتشار تعليم ثيئودور الموبسويستى. أما القسطنطينة بكاملها فقد رفضت النسطورية إلى يومنا هذا.

كما أن الأريوسية قد اندحرت تمامًا وإن كانت قد ظهرت فى الاسكندرية. وأيضًا قد صدر حكم ضد مقدونيوس وأبوليناريوس وسابيليوس ونسطور و..ألخ ورفضتهم كنائسهم وتحولت إلى كنيسة أرثوذكسية ترفض التعاليم الخاطئة.

أما من جهة الغرب –كنيسة روما– فالهرطقات التى خرجت منها هى من نفس بلادها: مثل كالفن فى سويسرا، لوثر فى ألمانيا. كلها بلاد تحت حكم الكنيسة الكاثوليكية وداخل بلادها. لدرجة إنه قد حدثت حرب داخل ألمانيا واستولى البروتستانت على جزء من ألمانيا، وظل جزء من ألمانيا كاثوليكى إلى يومنا هذا، حتى أن الكنائس البروتستانتية فى ألمانيا حاليًا تحتوى ما يخص الكاثوليك من تماثيل وغيرها وحتى طراز البناء كاثوليكى.

مجمع روما (٤٣٠م)

بناءً على ما سبق، عقد البابا كليستين مجمعًا فى روما (٤٣٠م) تقرر فيه تأكيد لقب العذراء "والدة الإله" وأعلن فيه أن نسطور هو هرطوقى[٨٢]. وأرسل البابا كليستين إلى البابا كيرلس السكندرى تفويضًا فى إصدار حكم علنى ضد نسطور إذا استمر كما هو. وجاء فى هذا الخطاب

[دعه يعرف أنه لا يستطيع أن يشترك فى شركتنا إن ظل فى هذا الطريق المنحرف بمعارضته للتعليم الرسولى. وبناءً على ذلك، حيث إن التعليم الأصيل لكرسينا هو فى اتفاق معكم، فتمم هذا القرار بحسم دقيق مستخدمًا خلافتنا. وفى خلال عشرة أيام ابتداءً من يوم هذا التذكير، ينبغى عليه إما أن ينقض عظاته الرديئة بإعتراف مكتوب ويؤكد بقوة أنه هو نفسه يعتنق الإيمان بخصوص ميلاد المسيح إلهنا، الذى تعتنقه كنيسة روما وكنيسة قداستكم كما يعتنقه الأتقياء فى كل العالم، وإذا لم يفعل هذا، فقداستكم، بسبب عنايتكم بتلك الكنيسة، تعلم فى الحال أنه يجب أن يُبعد من جسمنا بكل طريقة.. وكتبنا هذا نفسه إلى إخوتنا القديسين وزملائنا الأساقفة، يوحنا (أنطاكيا)، وروفس (تسالونيكى)، ويوفينايوس (أورشليم)، وفلافيانوس (فيلبى)، لكى يكون حكمنا بخصوصه – أو بالحرى حكم المسيح الإلهى ظاهرًا.] [٨٣]

[82] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, p. 25 , AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh

[83] *The Fathers of the Church*, *St. Cyril of Alexandria*, *Letters* (1987) - translated by John I. McEnerney, The Catholic University of America Press (CUA), Washington, D.C., Pope St. Clestine Letter to St. Cyril of Alex., vol. 76, p. 69, 70.

مجمع الإسكندرية (٤٣٠م)

عقد البابا كيرلس مجمعًا فى الإسكندرية (٤٣٠م) واعتمد المجمع نص رسالة البابا كيرلس الثالثة إلى نسطور (فهى رسالة مجمعية من مجمع الاسكندرية وليست رسالة شخصية من البابا كيرلس) وهى التى تتضمن الحروم الاثنى عشر ومطالبة نسطور بالإعتراف بها.

كذلك أرسل المجمع رسالتين أخريتين واحدة إلى إكليروس وشعب القسطنطينية والأخرى إلى رهبان القسطنطينية.
وقام وفد من الأساقفة والكهنة المصريين بتسليم الرسالة فى يوم الأحد بالكاتدرائية بالقسطنطينية إلى نسطور ومعها الوثائق المرسلة من روما.
قام نسطور بعدها بتقديم شكوى ضد البابا كيرلس إلى الإمبراطور ثيئودوسيوس كما قام بنشر اثنى عشر حرمًا مضادًا لحرومات البابا كيرلس، متهمًا البابا كيرلس بالهرطقة.[٨٤]

فى الحرم السابع أنكر نسطور تمامًا أن المولود من العذراء مريم هو هو نفسه الابن الوحيد الجنس المولود من الآب قبل كل الدهور ونصه كما يلى:
[إذا قال أحد أن الإنسان الذى تكوَّن من العذراء هو إبن الله الوحيد، الذى ولد من حضن الآب قبل كوكب الصبح، ولا يعترف بالأولى أنه حصل على مكانة ابن الله الوحيد لارتباطه مع ذاك الذى بالطبيعة هو ابن الله الوحيد المولود من الآب؛ بالإضافة إلى ذلك، إذا دعاه أحد باسم آخر غير المسيح عمانوئيل؛ فليكن محرومًا].[٨٥]

يوضح هذا النص –بعيدًا عن التعبيرات اليونانية التى يختلف أحيانًا فيها اللاهوتيون– أن نسطور اعتبر أن المولود من العذراء هو إنسان وليس هو ابن الله الوحيد، فجعل ابن الله هو واحد، وابن الإنسان هو آخر غيره.

بداية وصراع ونصرة مجمع أفسس

تم اقتراح عقد مجمع مسكونى بعد مدة طويلة من الخلاف النسطورى لتسويته. وقد طلب ذلك بوضوح كل من الأرثوذكس ونسطور[٨٦] (أراد نسطور أن يحتمى فى الامبراطور عندما وصلته حرومات

[84] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, p.28-34 , AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh.
[85] Ibid p. 36
[86] Evagrius, Hist. Eccl, i.7

من روما ومن الإسكندرية، فطلب من الإمبراطور أن يعمل مجمع ليحميه) وقد تكلم نسطور عن ذلك فى خطابه الثالث إلى البابا كليستين وبالطريقة نفسها اشتكى رهبان القسطنطينية فى خطاب إلى الإمبراطور من سوء معاملة نسطور لهم، وعبروا فيه عن رغبتهم بصوت عالى لطلب هذا العلاج الكنسى.[٨٧] وبالفعل وصل الإمبراطور ثيئودوسيوس الثانى إلى القسطنطينية يوم ١٩ نوفمبر عام ٤٣٠م، قبل بضعة أيام من حرومات كيرلس، وأصدر منشورًا به اسم زميله الغربى – فالنتينيان الثالث – وموجهًا إلى جميع المطارنه دعاهم فيه لاجتماع مسكونى فى أفسس فى عيد العنصرة (٧ يونيو) من السنة التالية ٤٣١[٨٨].. وأن كل من يصل متأخرًا سيكون مسئولاً مسئولية جسيمة أمام الله والإمبراطور.

وكان نسطور مع أساقفته الستة عشر بين الأوائل الذين وصلوا أفسس.[٨٩] وقد انتظر الآباء وصول البطريرك يوحنا الأنطاكى لمدة ستة عشر يومًا بعد الموعد المحدد. لكنه لم يصل إلى أفسس (كان يوحنا الأنطاكى قد أرسل إلى المجمع بأن هناك معطلات فى الطريق تؤخره عن الوصول، وطلب منهم أن يبدأوا المجمع). ثم بدأ المجمع برئاسة البابا كيرلس الأسكندرى فى يوم ٢٢ يونيو فى كاتدرائية والدة الإله بأفسس. وبعد استدعاء نسطور ثلاث مرات رفض الحضور إلى المجمع وقُرئ خطاب القديس كيرلس الثانى إلى نسطور ورد نسطور عليه.

"بعد ذلك تمت قراءة وثيقتين أخريتين وهما تحديدًا خطاب كليستين والمجمع الرومانى، وخطاب كيرلس السكندرى إلى نسطور[٩٠]؛ وتم سؤال الأربعة من الإكليروس الذين أرسلهم كيرلس ليسلموا هذه الوثيقة إلى نسطور عن نتيجة مهمتهم. وقد أجابوا بأن نسطور لم يعطهم ردًا على الإطلاق. ومع ذلك، من أجل التأكد من أنه ما زال مصممًا على خطئه، تم سؤال أسقفين: ثيئودوتس أسقف أنقيرا Ancyra وأكاكيوس أسقف ميليتين Melitene إذ كانت تربطهم بنسطور صداقة شخصية، وكانوا خلال اليومين الثلاثة الماضية فى مناقشات مألوفة معه، محاولين أن يحولوه عن خطأه.. وقد أعلنوا للأسف بأن جميع مجهوداتهم معه كانت سدى[٩١]". [٩٢]

كانت إجابة نسطور لهؤلاء الأساقفة [لن أدعو أبدًا طفلاً عمره شهرين أو ثلاثة "الله"][٩٣].

---

[87] In Mansi, t. iv. p. 1102, Hardouin, t. i. p. 1335. German in Fuchs, Bibl. Der Kirchenvers Bd iii S. 592

[88] Hardouin, t.i. p. 1435 ; Mansi t. iv. p. 1230.

[89] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, p.40-44 , AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh

[٩٠]) مقصود الرسالة الثالثة إلى نسطور التى اعتمدها المجمع السكندرى وفيها الحروم الاثنى عشر

[91] Cf. Mansi,, t.iv. p. 1182; Hardouin, t.i. p.1398; Fuchs, *l.c.* S.59

[92] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol. III, p.48, AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh

[93] Socrates, l.c; Schrockh in his Kirchengesh (Bd. 18, S. 235).

ومع ذلك، بناء على اقتراح قدمه فلافيان أسقف فيليبى ومن أجل تقديم النقطة العقائدية موضوع النقاش لدراسة شاملة، وفى ضوء أدلة الآباء، تمت قراءة عددٍ من كتابات آباء الكنيسة، التى يرد فيها التعبير عن الإيمان القديم بخصوص اتحاد اللاهوت والناسوت فى المسيح..

بعد ذلك، وبعكس هذه الفقرات الآبائية قد تمت قراءة عشرين فقرة، بعضها طويل وبعضها قصير، من كتابات نسطور، تحتوى على آرائه الأساسية، والتى قدمناها أعلاه، وتم التعبير عنها فى قطع مختلفة وبصورة محسوسة[٩٤]. صرخ جميع الأساقفة معًا : "إذا لم يحرم أى شخص نسطور فليكن هو نفسه محرومًا، أن الإيمان الصحيح يحرمه والمجمع المقدس يحرمه. وإذا كان لأى شخص شركة مع نسطور فليكن محرومًا. نحن جميعًا نُحرم نسطور الهرطوقى وأتباعه وعقيدته المضادة للتقوى impious. نحن جميعًا نحرم نسطور غير التقى impious ἀσεβη .. إلخ" [٩٥]

قرر.. المجمع المقدس أن يكون نسطور مفصولاً من كرامة الأسقفية ومن كل شركة كهنوتية.. هذا الحكم وقّع عليه فى البداية ١٩٨ أسقفًا حاضرين. بعد ذلك إنجاز آخرون إلى هذا الجانب حتى بلغ مجموع الموقعين ٢٠٠ (مائتين).

بعد انقضاء بضعة أيام، فى يوم ٢٦ يونيو، وصل يوحنا الأنطاكى إلى أفسس، وأرسل المجمع فورًا وفدًا مفوضًا لمقابلته، مكونًا من عدة أساقفة وإكليريكيين، تعبيرًا عن الاحترام اللائق له وفى نفس الوقت لإبلاغه بعزل نسطور.. وبعد وصوله مباشرةً عقد فى منزله مجمعًا مع أتباعه.. البالغ عددهم ثلاثة وأربعون عضوًا بما فيهم شخصه. وأعلن الحكم بعزل البابا كيرلس الأسكندرى وممنون أسقف أفسس من كافة الوظائف الكهنوتية وبالحرم من الشركة وجميع من وافقوا على الحكم ضد نسطور حتى يعترفوا بخطئهم ويحرموا تعاليم البابا كيرلس".[٩٦]

"وتقدم الطرفان إلى الإمبراطور، وكلاهما يطلب مساندته، وتأزم الأمر جدًا حتى أن المجمع ظل منعقدًا حتى ١١ سبتمبر من العام نفسه، وأصدر الإمبراطور قرارًا بخلع كيرلس وممنون ونسطور، ولكن بعد فترة قصيرة أعيد كيرلس وممنون إلى كرسيّهما وأرسل نسطور إلى دير أوبريبيوس Euprepius وفى عام

[94] In Mansi, t. iv. pp. 1198-1207; Hardouin, t.i.pp. 1410-1419. German in Fuchs, *l.c.* S. 69 ff.
[95] Cf. Mansi, t.iv. p. 1170-1178; Hardouin, t.i. pp. 1387-1395
[96] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, p.47-58, AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh.

٤٣٥م نُفى إلى البتراء Petra فى البادية العربية وبعد ذلك إلى صحراء مصر، حيث مات حوالى عام ٤٤٩م".[٩٧]

إعادة الوحدة عام ٤٣٣م

لم ينه رحيل نسطور الخلاف، فقد تحطمت أواصر الشركة بين الطرفين وسعى الإمبراطور نفسه مستخدمًا سلطانه ونفوذه ليعيد السلام، وبالفعل حققت مساعيه النتائج المرجوة. وفى عام ٤٣٣م أرسل يوحنا الأنطاكى بولس أسقف حمص إلى الإسكندرية ومعه اعتراف بالإيمان (أى وثيقة تعلن إيمان يوحنا) وقبله كيرلس، وأرسل إلى يوحنا رسالته المشهورة التى أعادت الوحدة، والتى تضمنت جزءًا من اعتراف يوحنا يؤكد وحدة شخص السيد المسيح والاستمرارية غير المختلطة وغير الممتزجة للاهوت والناسوت فيه.[٩٨]

وورد فى هذا النص ما يلى : [نعترف أن ربنا يسوع المسيح، ابن الله، الوحيد، هو إله كامل وإنسان كامل ذو نفس عاقلة وجسم، وهو مولود من الآب قبل الدهور بحسب لاهوته، وأنه هو نفسه فى الأيام الأخيرة، من أجلنا ومن أجل خلاصنا وُلد من مريم العذراء بحسب ناسوته، وهو نفسه، له الجوهر نفسه مع الآب، بحسب لاهوته، وله نفس الجوهر الذى لنا بحسب ناسوته. لأنه قد حدث اتحاد بين الطبيعتين. لأجل هذا نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، رب واحد. وبحسب هذا الفهم للاتحاد بدون اختلاط نعترف بأن العذراء القديسة هى "والدة الإله"، لأن الله الكلمة قد تجسد وتأنس، ومنذ الحمل به اتحد بالهيكل الذى أخذه منها، مع ذاته. ونحن نعرف أن اللاهوتيين ينسبون بعض أقوال البشيرين والرسل عن الرب باعتبارها تشير بصفة عامة إلى شخص واحد، ويقسمون أقوالاً أخرى بأنها تشير إلى طبيعتين، فتلك التى تليق بالله ينسبوها إلى لاهوت المسيح، أما تلك الأقوال المتواضعة فينسبونها إلى ناسوته.][٩٩]

تأزّم الموقف ١٠٠

لم تنجح إعادة الوحدة عام ٤٣٣م فى تحقيق الاستقرار والوحدة الكاملة بين الجانبين. فالسكندريون (أى الجماعة المؤيّدة للقديس كيرلس) شعروا بأن كيرلس قدم تنازلات كثيرة للأنطاكيين، أما الأنطاكيون فشعر بعضهم بالاستياء وعدم الرضى عن استبعاد نسطور وإدانته.

---

[97] V.C. Samuel, *The Council of Chalcedon Re-Examined*, Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, p. 8.
[98] Ibid.
[99] *The Fathers of the Church, St. Cyril of Alexandria, Letters* (1987) - translated by John I. McEnerney, The Catholic University of America Press (CUA), Washington, D.C., Letter to John of Antioch, Vol. 76, par. 3, p.148-149.
[100] V.C. Samuel,*The Council of Chalcedon Re-Examined*, Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, p. 11.

غير أن كيرلس كان قويًا ونافذ القول بقدر كاف لاحتواء أتباعه؛ فأرسل كثير من الرسائل إلى أصدقائه مثل أكاكيوس أسقف ميليتين وفاليريان أسقف إيقونية شارحًا كيف أن المصالحة مع يوحنا الأنطاكى لا تتعارض مع شرحه السابق للعقيدة فى رسائله إلى نسطور، ولا مع عقيدة مجمع أفسس.

أما الأنطاكيون، فلم يكونوا كلهم موافقين على إعادة العلاقات أو على الوحدة. وبالرغم من وجود رجال قبلوا إعادة الوحدة وظلّوا مخلصين لبنود الاتفاق الذى تم التوصل إليه سنة ٤٣٣م، مثل يوحنا الأنطاكى وأكاكيوس أسقف حلب، إلا أنه كان هناك آخرون فى الجانب الأنطاكى غير راغبين فى الإذعان والخضوع للبطريرك الأنطاكى.

وهؤلاء كانوا يمثلون **إتجاهين:**
من ناحية: كان هناك السيلسيانيون المعارضين لكيرلس ولإعادة الوحدة.
ومن الناحية الأخرى: كان هناك رجال مثل ثيئودوريت أسقف كورش Theodorete of Cyrus الذى لم يقبل إدانة نسطور.

وتدخّل الإمبراطور وخضع الكثير من هؤلاء الأساقفة، إلا أن خمس عشر منهم عاندوا فكان مصيرهم الخلع، وفى عام ٤٣٥م قبِل ثيئودوريت إعادة الوحدة ولكن بدون إدانة نسطور، وهكذا لعب ثيئودوريت أسقف قورش المجادل المقتدر، دورًا مؤثرًا فى الجدال الذى تلا إعادة الوحدة.

إعادة الوحدة تُفسَّر بطرق مختلفة [١٠١]

تفاقم التوتر بين الجانبين لأن إعادة الوحدة لم تُفهم بالمعنى نفسه من قبلهما. فالسكندريون من جهتهم، نظروا إليها كأمر جعل الأنطاكيين يقبلون مجمع سنة ٤٣١م بدون أى شروط أو تحفظات، وكيرلس نفسه فهم الأمر بهذا المعنى وأوضح لمؤيديه عندما سألوه. وهذه النظرة الكيرلسية –كما سنرى فيما بعد– أكد عليها ساويروس الأنطاكى باقتدار فى القرن السادس[١٠٢]، وكان للسكندريين تبريرهم الكافى لهذا الموقف. ألم يوافق الأنطاكيون، على سبيل المثال، على أن يسحبوا اعتراضاتهم الثلاثة على مجمع أفسس؟ ألم يعيدوا العلاقات مع كيرلس السكندرى من دون أن يجعلوه يتراجع عن حروماته (الاثنى عشر) أولاً؟

[101] Ibid. p. 12
[102] Ibid. p.194

وبالرغم من أن شرعية هذا الدفاع السكندرى لا يمكن أن تُدحض، إلا أن ثيئودوريت أسقف كورش ومؤيديه كانوا غير راغبين فى التسليم والإقرار به. ومضى ثيئودوريت، من جهته، قدمًا فى الاعتقاد بأن إعادة الوحدة سنة ٤٣٣م ألغت كل قرارات المجمع سنة ٤٣١م، التى لم يقرّوها إقرارًا تامًا (إيجابيًا)، وتايًا بذلوا قصارى جهدهم ليؤسسوا ويقيموا لاهوتًا أنطاكيًا قويًا (أى متطرفًا) على أساس صيغة إعادة الوحدة (بحسب مفهومهم الخاص)، وسعوا كذلك لوضع رجالهم المؤيدين لهم فى الأماكن والمناصب الرئيسية والأساسية لينشروا هذا اللاهوت، وظنوا أنهم يستطيعون تحقيق ذلك عن طريق الاعتراف برسالة كيرلس الثانية إلى نسطور كوثيقة إيمان، بالإضافة إلى صيغة إعادة الوحدة نفسها. ولعل الأنطاكيين فى اعترافهم بالرسالة الثانية قد فسّروا عبارة "اتحاد أقنومى" hypostatic union الموجودة فى الرسالة كمرادف لعبارة "اتحاد بروسوبونى" أى "اتحاد أشخاص"prosopic union، بالرغم من أن كيرلس رفض هذه العبارة فى رسالته. وفى سعيهم لتطوير لاهوتهم كان من المستشعر أنهم لابد وأن يعترفوا ويعلنوا أن ديودور أسقف طرسوس Tarsus، وثيئودور أسقف موبسويستيا Mopsuestia هم أساتذتهم اللاهوتيين. ونُشرت أعمالهما، بل وكتَبَ ثيئودوريت نفسه دفاعًا عنهما، **وما أن تم هذا حتى فنّده البابا كيرلس ودحضه.** وقد أجلس الأنطاكيون (المتطرفون) أيضًا رجالاً من مؤيديهم فى كراسى أسقفيات هامة، وكان إيباس واحد من هؤلاء وقد أُجلس على كرسى الرها فى سنة ٤٣٥م. وقدم الجانب الأنطاكى أيضًا تبريرات لأعماله هذه، فقد قالوا على سبيل المثال، إنهم لم يستطيعوا فهم الجمل السكندرية التالية: **اتحاد أقنومى، أقنوم واحد، طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة.** بل رأوا فيها معنى أبوليناريًا، وقالوا إنهم لم يقبلوا حرومات كيرلس[١٠٣].

معنى الاتحاد الأقنومى

ἕνωσις καθ’ ὑπόστασιν – Hypostatic union

كلمة أقنوم ὑπόστασις عند القديس كيرلس تعنى الشخص πρόσωπον مع الطبيعة φύσις التى يحملها. وعبارة الاتحاد الأقنومى ἕνωσις καθ’ ὑπόστασιν عنده لا تعنى إطلاقًا اتحاد أشخاص بل اتحاد طبائع فى شخص واحد بسيط، اتحادًا طبيعيًا أو بحسب الطبيعة ἕνωσις κατά φύσιν. أى أن عبارة الاتحاد الأقنومى بمنتهى الوضوح تعنى عند القديس كيرلس اتحاد طبيعتين اتحادًا طبيعيًا فى شخص واحد بسيط.

[103] Ibid., P.11-13

موقف القديس كيرلس

فى هذه الفترة شعر القديس البابا كيرلس بمحاولة الأساقفة المعجبين أو المتمسكين بنسطور وتعاليمه إعادة النسطورية إلى الشرق فى المناطق المحيطة بالكرسى الأنطاكى، فكتب إلى يوحنا الأنطاكى والمجمع الأنطاكى وإلى أكاكيوس أسقف ميليتين وإلى الإكليروس ولمبونوس الكاهن وإلى الإمبراطور ثيئودوسيوس محذرًا من التيار النسطورى الذى يحاول أن يتخفى خلف تعاليم ثيئودور الموبسويستى وديودور الطرسوسى معلمى نسطور. ثم كتب إلى بروكلس أسقف القسطنطينية حول تداعيات هذا الموضوع، وإلى رابولا أسقف الرُها ردًا على الرسالة التى بعث بها إليه، مادحًا إياه على وقوفه ضد تعاليم ثيئودور الموبسويستى والتيار النسطورى فى الشرق.

ونقتبس من رسالة القديس كيرلس إلى الإمبراطور ثيئودوسيوس ما يلى: [كان هناك شخص ما اسمه ثيئودور وقبله ديودور، الآخير أسقف طرسوس والأول أسقف موبسويستيا، هذان كانا أبوى تجديف نسطوريوس. ففى الكتب التى ألّفاها، تكلما بجنون شديد ضد المسيح مخلصنا جميعًا، لأنهما لم يفهما سره، وأراد نسطور أن يُدخل تعاليمهما فى وسطنا ولذلك عزله الله.

ومع ذلك فبينما حرم بعض أساقفة الشرق تعاليمه، فإنهم بطريقة أخرى يدخلون الآن هذه التعاليم نفسها أيضًا حينما يبدون إعجابهم بتعاليم ثيئودور ويقولون إنه كان يفكر تفكيرًا صحيحًا يتفق مع آبائنا، أعنى أثناسيوس وغريغوريوس وباسيليوس. ولكنهم يكذبون ضد الرجال القديسين. فكل ما كتبه هؤلاء (القديسون) هو على عكس آراء ثيئودور ونسطور الشرير.][104].

تغيُّر القيادة

عندما كان البابا كيرلس السكندرى والبطريرك يوحنا الأنطاكى على قيد الحياة كان هناك سلام بين الطرفين. ولكن البطريرك يوحنا تنيح عام ٤٤٢م وأعقبه البابا كيرلس فى عام ٤٤٤م.

وبدأ ثيئودوريت أسقف قورش يحاول نشر الفكر النسطورى فى الشرق وكتب عام ٤٤٧م كتابه المعنون Eranistes الذى قصد به تشويه تعليم آباء الإسكندرية، خاصة القديس كيرلس الكبير والسخرية منه. فأثار هذا الكثير من المعارضة حتى صدر مرسوم إمبراطورى فى ١٨ أبريل عام ٤٤٨م يحرم نسطور

[104] *The Fathers of the Church, St. Cyril of Alexandria, Letters* (1987) - translated by John I. McEnerney, The Catholic University of America Press (CUA), Washington, D.C., Letter to Emperor Theodosius, Vol. 77, p.70-71

وكتاباته وأتباعه، وأمر ثيئودوريت بالبقاء فى كرسيه فى قورش، وكذلك أثار إيباس Ibas أسقف الرها، رد فعل عظيم بسبب رسالته إلى ماريس الفارسى ضد تعاليم القديس كيرلس الكبير.

هرطقة أوطيخا

كرد فعل على النشاط النسطورى فى الشرق، ظهر تعليم متطرف فى الدفاع عن عقيدة الطبيعة الواحدة المتجسدة لكلمة الله التى علّم بها القديس كيرلس الكبير وذلك فى شخص أوطيخا رئيس دير أيوب بالقسطنطينية.

ادّعى أوطيخا، الذى كان صديقًا للبابا كيرلس، أنه تلقى من اللاهوتى السكندرى العظيم نسخة من قرارات مجمع أفسس ٤٣١م، واحتفظ بها منذ ذلك الحين، وكان مؤيّدًا قويًا لا يكل للجانب السكندرى فى العاصمة، ولأنه كان رئيس دير أيوب فى الربع (الحى) السابع من المدينة، لذا فقد كان يقود ٣٠٠ راهب لمدة تزيد عن الثلاثين عامًا، ومن خلال ابنه بالمعمودية (الذى هو ابن أخيه) كريسافيوس Chrysaphius كبير موظفى البلاط الملكى استطاع أوطيخا الوصول إلى البلاط. وبينما كان المناخ الكنسى ملبدًا بغيوم الخلاف بين الجانب السكندرى ونظيره الأنطاكى، واجه أوطيخا مقاومة ومعارضه من الأنطاكيين لأنه كان متعصبًا جدًا للسكندريين، وهذا زاد من حدة التوتر.[١٠٥]

بدأ أوطيخا يدافع عن عقيدة الطبيعة الواحدة، فسقط فى الهرطقة المعروفة باسمه. والتى تعنى أن الناسوت قد ذاب فى اللاهوت مثلما تذوب نقطة الخل فى المحيط. أى أن الطبيعتين قد امتزجتا معًا فى طبيعة واحدة. ومن هنا جاءت تسميته مونوفيزيتس μονοφυσίτης لأن عبارة "مونى فيزيس" μονή φύσις تعنى "طبيعة وحيدة" وليس "طبيعة واحدة" أى "ميا فيزيس" μία φύσις

وقد زار أوسابيوس أسقف دوريليم أوطيخا[١٠٦] فى ديره بالقسطنطينية مرات عدة واكتشف أن عقيدته غير أرثوذكسية، إذ يعتقد بالامتزاج.

مجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨م

فى هذا المجمع (٨-٢٢ نوفمبر ٤٤٨م) الذى رأسه فلافيان بطريرك القسطنطينية وحضره ٣٢ أسقف، أدين وعزل وحرم أوطيخا بناءً على شكوى من يوسابيوس أسقف دوريليم، وبناء على شهادة يوحنا

[105] V.C. Samuel, *The Council of Chalcedon Re-Examined*, Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, P.14-15.
[106] Ibid p. 15

الكاهن والشماس أندراوس الذين أرسلهما المجمع لمقابلته، لأنه أصر على أن الجسد الذى أخذه ربنا يسوع من مريم العذراء لم يكن من طبيعتنا وجوهرنا نفسهما. وبناء على تردده فى إيضاح عقيدته حينما حضر أمام المجمع وقدم إقرارًا بالإيمان رفض أن يقوم بقراءته. [١٠٧] ووقّع على الحرم ٣٠ أسقف و٢٣ أرشيمندريتًا. ولأول مرة تم إقرار صيغة "طبيعتين من بعد الاتحاد" للسيد المسيح. وحدثت قلاقل كثيرة فى القسطنطينية، وقدّم أوطيخا شكوى ضد المجمع المكانى إلى الإمبراطور، الذى دعا البابا ديسقوروس ليرأس مجمعًا مسكونيًا فى أول أغسطس ٤٤٩م فى أفسس، وطلب من جوفينال أسقف أورشليم، وتالاسيوس أسقف قيصرية كبادوكيا أن يكونا رئيسين مساعدين معه، وأرسل مرسومًا إمبراطوريًا إلى ديسقوروس يطلب منه السماح لبارصوماس (وهو أرشمندريت سورى مؤيد للجانب السكندرى) بالمشاركة فى المجمع.

موقف كنيسة الإسكندرية

شعر البابا ديسقوروس بخطورة انتشار أفكار ثيئودوريت أسقف قورش، وإيباس أسقف الرُها فى الشرق، تلك التى تهاجم عقيدة البابا كيرلس السكندرى. وكذلك انتشار تعاليم ثيئودور الموبسويستى ونسطور فى كثير من المناطق فى المشرق. وعلم بشكوى أوطيخا من أن إقراره الخطى بالإيمان لم يقبله مجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨.[١٠٨] وخشى أن يكون أوطيخا قد أدين لتمسكه بتعليم القديس كيرلس الكبير حول الطبيعة الواحدة المتجسدة لله الكلمة. وكان مجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨م قد طلب من أوطيخا أن يحرم كل من لا ينادى بطبيعتين من بعد الاتحاد، فرفض وقال أنا لو فعلت ذلك أكون قد حرمت آبائى القديسين (أمثال القديس كيرلس الكبير)[١٠٩]. وأمام اعتراف أوطيخا الخطى المخادع بأنه "يرفض هؤلاء الذين يقولون أن جسد ربنا يسوع المسيح قد نزل من السماء لأن ذاك الذى هو كلمة الله نزل من السماء بدون جسد وتجسد من جسد العذراء نفسه بدون تغيير ولا تحويل وبطريقة عرفها هو نفسه وأرادها، وذاك الذى هو دومًا إله كامل قبل الدهور، صار أيضًا إنسانًا كاملاً فى آخر الأيام من أجلنا ومن أجل خلاصنا".[١١٠]

شعر البابا ديسقوروس أن فلافيان بطريرك القسطنطينية، ويوسابيوس أسقف دوريليم قد انضما إلى التيار النسطورى الموجود فى الشرق حينما طُلب من أوطيخا فى مجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨م حرم كل من لا ينادى بطبيعتين من بعد الاتحاد. ولكن الحقيقة كانت أن البابا ديسقوروس سعى إلى محاربة

[107] Ibid. p. 17-18
[108] Ibid. p.19,20,24
[109] Ibid. p.22
[110] Ibid p. 30-31

النسطورية برفض تعبير "الطبيعتين بعد الاتحاد" وكان الأسقف يوسابيوس يدفع البطريرك فلافيان لمحاربة الأوطاخية بتأكيد تعبير "طبيعتين من بعد الاتحاد"، ومن هنا نشأ بين الطرفين سوء الفهم الذى تطور إلى الشقاق الخلقيدونى فيما بعد. ولكن البحث الدقيق يبرهن أن البابا ديسقوروس لم يكن أوطاخيًا، ولهذا لم يحكم عليه مجمع خلقيدونية لأسباب عقائدية، كما ذكر أناتوليوس بطريرك القسطنطينية رئيس المجمع فى جلسة ٢٢ أكتوبر عام ٤٥١م [١١١]. كما أن البطريرك فلافيان والأسقف يوسابيوس لم يكونا نسطوريين.

مجمع أفسس الثانى

عقد المجمع الجلسة الأولى فى ٨ أغسطس عام ٤٤٩م، وحضره ١٥٠ أسقف برئاسة البابا ديسقوروس وبحضور الأسقف يوليوس ممثل بابا روما، وجيوفينال أسقف أورشليم، ودمنوس الأنطاكى وفلافيان بطريرك القسطنطينية.

وبعد استعراض وقائع مجمع أفسس الأول ٤٣١م، ومجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨م، وقراءة اعتراف خطى لأوطيخا بالإيمان الأرثوذكسى قدّمه أوطيخا إلى المجمع مخادعًا، وبعد الاستماع إلى آراء الحاضرين؛ حكم المجمع بإدانة وعزل فلافيان بطريرك القسطنطينية ويوسابيوس أسقف دوريليم وبتبرئة أوطيخا وإعادته إلى رتبته الكهنوتية. كما حكم المجمع بحرم وعزل كل من **إيباس أسقف الرها وثيئودوريت أسقف قورش** وآخرين.[١١٢] وحدد المجمع أن ديودور الطرسوسى نسطورى.[١١٣] ولم تقرأ رسالة البابا لاون الأول إلى المجمع وهى المعروفة بطومس لاون.

مجمع خلقيدونية

لم يقبل البابا لاون الأول نتائج مجمع أفسس الثانى ٤٤٩م ومنح الحل الكنسى لثيئودوريت أسقف قورش[١١٤] وحدث أن الإمبراطور ثيئودوسيوس قد سقط من على ظهر جواده، مما أدى إلى وفاته فى ٢٨ يوليو عام ٤٥٠م

وتولت أخته بولكاريا السلطة وتزوجت من القائد مركيان، وأعلنته إمبراطورًا فى ٢٨ أغسطس من نفس العام. وفى ١٥مايو عام ٤٥١م صدرت الأوامر الإمبراطورية بعقد مجمع عام فى نيقية. وبحلول أول

[111] Ibid. p.69
[112] V.C. Samuel, *The Council of Chalcedon Re-Examined*, Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, P.29-35.
[113] J.N.D. Kelly, *Early Christian Doctrines*- Chapter xi - Fourth Century Christology, A & C Black- London 1977 , 5th Revised Edition p.302
[114] V.C. Samuel, *The Council of Chalcedon Re-Examined*, Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, P.69

سبتمبر وصل الأساقفة إلى نيقية ولكنهم أمروا أن يتجهوا إلى خلقيدونية القريبة من القسطنطينية. فاجتمع حوالى ٥٠٠ أسقف فى كنيسة القديسة أوفيمية، وعقدت الجلسة الأولى للمجمع فى ٨ أكتوبر عام ٤٥١م. فى تلك الجلسة نوقش البابا ديسقوروس بشأن عقيدة أوطيخا الذى برّأه مجمع أفسس الثانى ٤٤٩م؛ فقال "إذا كان أوطيخا يتمسك بمفاهيم ترفضها عقائد الكنيسة، فهو يستحق ليس العقاب فقط بل النار أيضًا (أى جهنم). ولكن اهتمامى إنما هو بالإيمان الجامع الرسولى وليس بأى إنسان أيًا كان"[١١٥].

وقال أيضًا فى نفس الجلسة من المجمع الخلقيدونى : "أنا أقبل عبارة "من طبيعتين بعد الاتحاد"[١١٦] وهو فى تأكيده على الطبيعة الواحدة المتجسدة لله الكلمة أراد أن يثبت عدم التقسيم بين الطبيعتين من بعد الاتحاد، وفى قبوله لعبارة "من طبيعتين بعد الاتحاد" أراد أن يؤكّد ما أكّده القديس كيرلس الكبير عن استمرار وجود الطبيعتين فى الاتحاد وعدم امتزاجهما.

أقر المجمع الخلقيدونى رسائل القديس كيرلس السكندرى المجمعية وطومس لاون بعد مراجعته على حروم القديس كيرلس الاثنى عشر[١١٧]. وقد حكم بحرم وإدانة وعزل أوطيخا وبإلغاء أغلب قرارات مجمع أفسس الثانى ٤٤٩م. وبعزل البابا ديسقوروس الإسكندرى لأسباب إدارية وقانونية، وبإعادة ثيئودوريت أسقف قورش وإيباس أسقف الرها إلى رتبة الأسقفية بعد أن وافقا على حرم نسطور وتعاليمه. ولكن المجمع لم يحكم على كتابات ثيئودوريت وإيباس ضد تعليم القديس كيرلس الكبير، كما لم يحكم على ثيئودور الموبسويستى معلم نسطور ولا على تعاليمه.

وبالرغم من أن رسالة إيباس أسقف الرها إلى ماريس الفارسى والتى هاجم فيها مجمع أفسس المسكونى ٤٣١م، وتعاليم القديس كيرلس الكبير وحرومه الاثنى عشر، قد قرئت فى المجمع إلا أن المجمع لم يحكم بإدانتها[١١٨] مما جعل الفريق الذى رفض قرارات مجمع خلقيدونية يشعر بأن هناك تعاطفًا فى المجمع مع الجانب النسطورى. إلا أن المجمع كان قد أكّد قداسة البابا كيرلس، ولم يقبل ثيئودوريت وإيباس إلا بعد توقيعهما الحرم على نسطور.

وقد أوضح الجانب الخلقيدونى فيما بعد موقفه مظهرًا رفضه للنسطورية بصورة أكيدة فى المجمع التالى للخلقيدونيين الملقب بالمجمع الخامس والمنعقد فى القسطنطينية عام ٥٥٣م؛ حيث حكم هذا المجمع

---

[115] Ibid, p.51
[116] Ibid., p.55
[117] C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church*, Vol III, p.345 AMS Press 1972, reprinted from the edition of 1883 Edinburgh
[118] V.C. Samuel, *The Council of Chalcedon Re-Examined*, Senate of Serampore College, Madras, India, 1977, P.84

بحرم شخص وكتابات ثيئودور الموبسويستى، معلّم نسطور، وبحرم كتابات ثيئودوريت أسقف كورش وكذلك إيباس أسقف أديسا ضد تعاليم القديس كيرلس الكبير.

وضع مجمع خلقيدونية تعريفًا للإيمان وكان أعضاء المجمع فى البداية يرفضون هذا الأمر، ولكنهم تحت إلحاح مندوبى الإمبراطور قد رضخوا فى النهاية. وكانت المسودة الأولى تنص على أن المسيح "من طبيعتين". ولكن مندوبى الإمبراطور ألحوا أن يتضمن النص "فى طبيعتين". وبعد مقاومة كبيرة على أساس أن هذه العبارة متضمنة فى "طومس لاون" الذى قبله المجمع ولا داعى لوضعها فى تعريف الإيمان، قبلها المجمع تحت إلحاح من مندوبى بابا روما وممثلى الإمبراطور.

لم يكن التعريف الذى قبله المجمع نسطوريًا بل إن المجمع فى قراراته قد أكّد على حرم كل من النسطورية والأوطاخية. ولكن التعريف لم يتضمن على عبارة "الاتحاد الأقنومى" ولا على عبارة أنه "لا يمكن التمييز بين الطبيعتين إلا فى الفكر فقط" وهى العبارات الهامة فى تعليم القديس كيرلس الكبير. كما أنه وردت عبارة تحرم "كل من يعتقد بطبيعتين قبل الاتحاد وبطبيعة واحدة من بعد الاتحاد"، والمقصود بهذه العبارة هو أوطيخا وعقيدة الامتزاج بين الطبيعتين. ومن المعلوم أن الجانب اللاخلقيدونى يحرم من يقول "بطبيعتين قبل الاتحاد" لأن هذا التعبير يفترض وجود الناسوت قبل اتحاده باللاهوت، لكن هذا الفريق يقبل "من طبيعتين فى الاتحاد" و "من طبيعتين بعد الاتحاد". أما حرم من يقول "بطبيعة واحدة بعد الاتحاد" فكان يحتاج إلى توضيح، لأن هذا الحرم من الممكن أن يفسّر أنه ضد تعليم القديس كيرلس الكبير "طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله" الذى تمسك ويتمسك به الجانب اللاخلقيدونى حتى الآن، مع رفضهم التام لفكرة الامتزاج وتأكيدهم على استمرار وجود الطبيعتين فى الاتحاد.

هذه الأمور العقائدية التى أدت إلى رفض البابا ديسقوروس مجمع خلقيدونية، ورفض مجموعات عديدة فى الشرق –بما فى ذلك الشعب المصرى– لهذا المجمع، وقد حاول مجمع القسطنطينية عام ٥٥٣م أن يعالجها باستخدام عبارات القديس كيرلس الكبير "الاتحاد الأقنومى" و"لا يمكن تمييز الطبيعتين إلا بالفكر فقط" وبشرح معنى رفض من يعتقدون بطبيعة واحدة على أساس الامتزاج. ولكن ظل الخلاف بين الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين حول عبارة "فى طبيعتين" و "من طبيعتين".

فى مجمع خلقيدونية وافق الأساقفة المصريون الأربعة عشر الحاضرون على حرم أوطيخا ولكنهم لم يقبلوا التوقيع على قرارات المجمع ولا على طومس لاون. وحدثت اضطرابات كبيرة فى الشرق بسبب قرارات مجمع خلقيدونية ومع تغيير الأباطرة كانت الظروف تتغير.

وانتخب فى ١٦ مارس ٤٥٧م فى الإسكندرية البابا تيموثاوس الثانى (الشهير بأوريلُّوس) خليفة للبابا ديسقوروس بعد وفاته، وتمكن فى عهد الإمبراطور "باسيليسكوس" من عقد مجمع عام آخر فى أفسس سنة ٤٧٥م (يلقبه البعض مجمع أفسس الثالث) حضره ٥٠٠ أسقف. هذا المجمع حرم تعاليم أوطيخا وتعاليم نسطور ورفض مجمع خلقيدونية. وقد وقّع على قرار هذا المجمع ٧٠٠ أسقف شرقى[١١٩]. وقد أوضح موقف البابا تيموثاوس من خلال المجمع أن الجانب الرافض لمجمع خلقيدونية لم يكن بالضرورة أوطاخى المعتقد كما اتهمه، فى أغلب الأحيان، الجانب الخلقيدونى.

وفى عهد الإمبراطور زينو حدثت محاولة للوحدة على أساس مرسوم الاتحاد الهينوتكون Henotikon الذى صدر فى ٢٨ يوليو عام ٤٨٢م، والذى وقّع عليه على التوالى أكاكيوس بطريرك القسطنطينية، وبطرس منجوس بطريرك الإسكندرية، وبطرس القصار بطريرك أنطاكيا فى عام ٤٨٤م، ومارتيريوس بطريرك أورشليم. ولم تشترك روما فى هذه الوحدة بل عقد بابا روما فيلكس الثالث مجمعًا وقطع (من الشركة) أكاكيوس بطريرك القسطنطينية. وفى مصر حدثت مقاومة شديدة وتكونت جماعة "الذين بلا رئيس" Acephlists ولم يتمكن مرسوم الاتحاد Henotikon من الحفاظ على الوحدة التى بدأت بتوقيع بطاركة الكراسى الشرقية الأربعة عليه[١٢٠].

[119] Ibid.101-105
[120] Ibid.108-114

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
المجامع المسكونية	٤
أولاً: مجمع نيقية سنة ٣٢٥م	٨
عرض تاريخى لبعض الأحداث التى سبقت ظهور مقدونيوس وأتباعه	٢١
تأثير تعاليم أوريجانوس فيما يخص البدع الخاصة بالروح القدس	٢١
تعليم آباء القرون الأولى عن الروح القدس	٢٢
الروح القدس حتى مجمع القسطنطينية ٣٨١م	٢٤
ثانيًا: مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م	٢٩
١) بدعة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية، والرد عليها	٢٩
٢) بدعة أبوليناريوس، والرد عليها	٣٤
٣) بدعة سابيليوس، والرد عليها	٤٧
ثالثًا: مجمع أفسس	٥٤
مقدمة تمهيدية إلى مجمع أفسس	٥٤
الصراعات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس	
وما تلاها من تطورات حتى العصر الحالى	٥٩
هرطقة أبوليناريوس	٥٩
ردود الفعل الأبوليناية	٦٣
ديودور الطرسوسى	٦٣
ثيئودور الموبسويستى	٦٤
نسطور	٦٧
كتابات نسطور المتأخرة	٧٠
بداية الصراع بين كيرلس ونسطور	٧١
مجمع روما (٤٣٠م)	٧٨
مجمع الإسكندرية عام (٤٣٠م)	٧٩
بداية وصراع ونصرة مجمع أفسس	٧٩

إعادة الوحدة عام ٤٣٣م ٨٢
تأزُّم الموقف ٨٢
تغير القادة ٨٥
هرطقة أوطيخا ٨٦
مجمع القسطنطينية المكانى ٤٤٨م ٨٦
مجمع أفسس الثانى ٨٨
مجمع خلقيدونية ٨٨